بسم الله الرحمن الرحيم

في مجال المعرفة المركزي

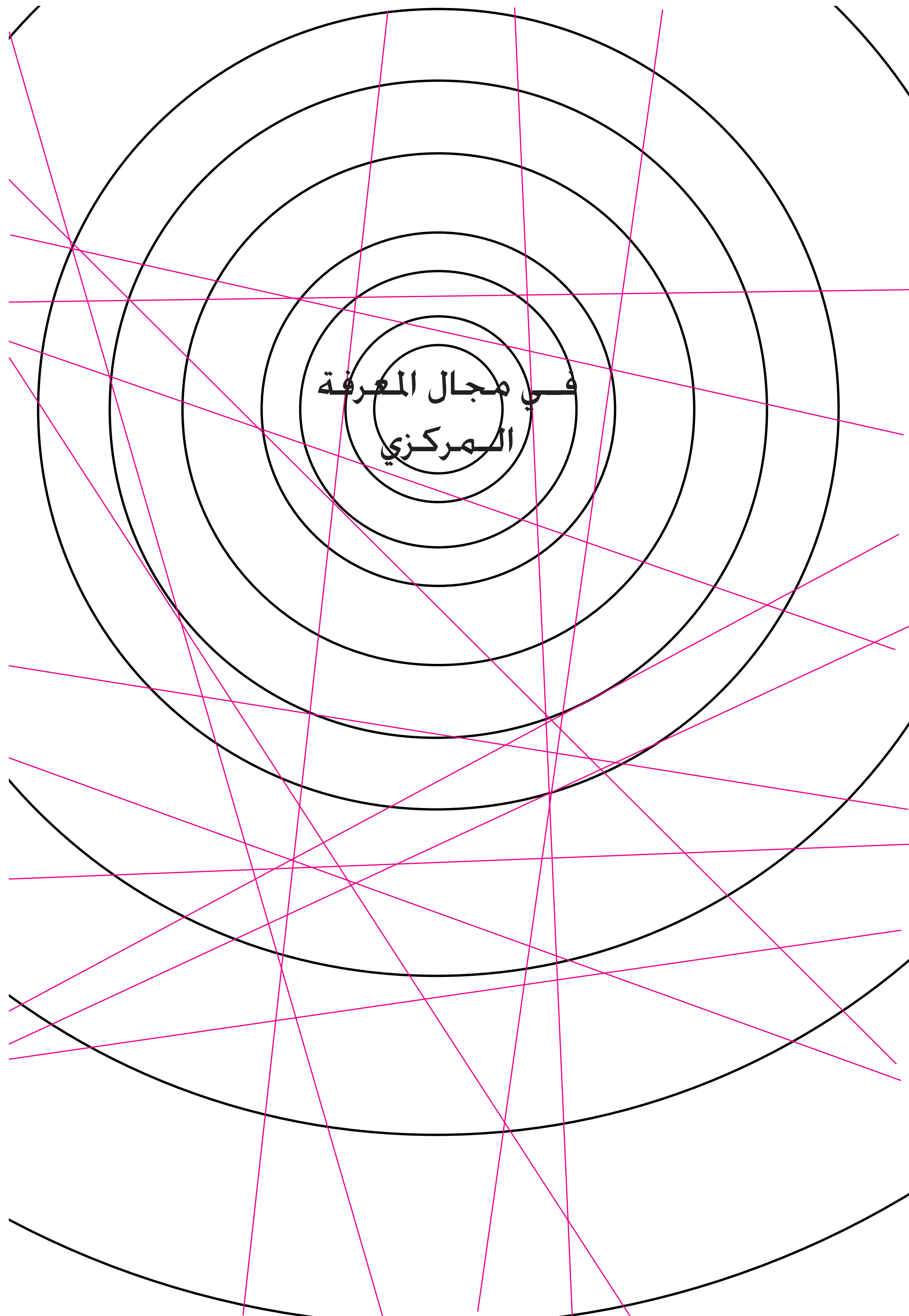
في مجال المعرفة المركزي

سليمان سامي الجوخدار



﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾

[النور: 24/ 40]


في مجال المعرفة
المركزي

ما قولك فيمن يطالب بتقسيم النور قِطَعاً و تعليبه لتسهيل استهلاكه؟

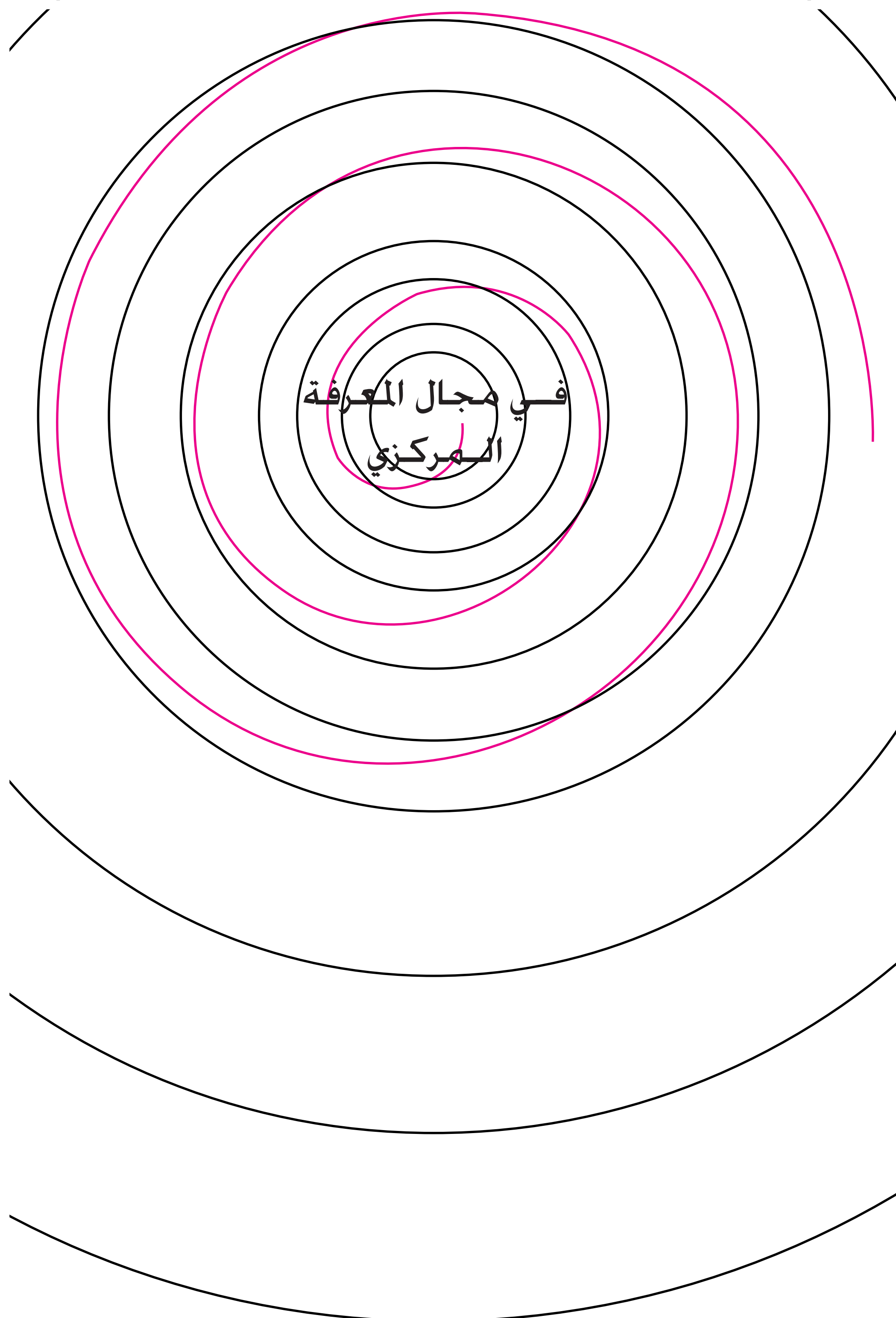
ما قولك فيمن يدخل في النور و يخرج منه مُنْكِراً وجودَه إذ لم يستطع أن يُمسكَ به و يلمسه أو يضعه في جيبه؟

ما فائدة أن يدخلَ في دوائر النور ليأخذَ منها، ثم طلباً للمزيد، يتابع سيره الذي به دخل فيخرج إلى الظلام و يقول: «أين ذهب ذاك النور؟».

لم يستفد من نور الدائرة التي كان فيها لِيُعَدِّلَ مساره و يدخل في الدائرة التي تليها.

﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا
قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾

[طه: 20/ 125-126].



سليمان سامي الجوخدار

المحتوى

* من المفيد الإطلاع على التعريفات في الصفحة (169) عند قراءة الكتاب.

«...رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْنا وَعَلَى مُوسَى لَوْلا أَنَّهُ عَجَّلَ لَرَأَى العَجَبَ ...»

[صحيح مسلم: 4386، كتاب الفضائل]

المدخــل

قبل سنوات، طُلِبَ مني أن أساهِمَ في العدد الأول من مجلةٍ فكريةٍ أمريكية غاية في التخصص، تهتمُّ بتوثيق و دراسة جوانب التراث البشري الديني و الروحي والميتافيزيقي؛ ويندرج نشاط هذه المجلة ضمن تيار معاصر تصبُّ فيه جهودُ الكثير من الجمعيات والجامعات الكبرى، وعياً بوجوب توثيق ما تبقى من التقاليد و التراث الحيّ الشفهيّ قبل اندثاره أمام اجتياح الحضارة الحديثة. فوجدتُ أنْ أساهِمَ بنص نموذجي كما يكون من أبناء تراث ما، و هم يتكلمون فيما بينهم عن تراثهم. و هذا في زماننا نادرٌ عموماً واستثنائي عندما يتعلق الأمر بتراثٍ إسلاميٍّ.

عندما كتبتُ ذلك النص، و الذي لم يكن يتجاوز صفحتين مطبوعتين، لم يكن يشغل بالي سوى تدوينٌ تقليديٌّ و مختزل لمعلومات نادرة للغاية حفظاً لها من الضياع، و تركها لمن يستطيع فكَّ رموزها و فهم أسرارها. ولكون موضوع ذلك النص حساساً، كان لا بد لي من طلب المَشُورَةِ. عندها تبيَّنَ لي أن الكثير من الأسس و المنطلقات البديهية بالنسبة لي لم تكن كذلك بالنسبة للجميع، و أنَّ ما هو واضح جليٌّ معروف بالنسبة لي، غامضٌ مبهمٌ أو مجهول بالنسبة للآخرين. فوجدتُ ضرورة تدوين جانبٍ من ذلك لِرَدفِ النص المذكور بالحدِّ الأدنى مما لا بدَّ منه لتناوله، مما استوجب إعادة صياغة كليّة تتلخص بإضافة فقرات على النص الأصليّ وتقديمه بمقدمة خاصة به، تسبقُها مقدمة عامة للعلوم التي ينتمي إليها، و ليكون رسالة، هذه الرسالة مثالٌ للتنبيه إلى **ما يكمن في تراثٍ إسلامي من أهمية قد ينظر البعض إليها بإهمال.** وكان لا بدَّ من التقديم لهذا العمل بمدخل.

الغاية من هذا المدخل هي إنشاءُ أرضية تفاهم مشتركة مع القارئ و ذلك من خلال مناقشة نقاطٍ مثل:

1 ـ نظرة مقتضبة إلى بنية الكتاب و كيفية تناوله.

2 ـ مراجعة لبعض المفاهيم و المعطيات الثقافية و التربوية التي قد تكون مختلفة عن ثقافة وتربية القارئ.

3 ـ هل تغطي المصادر الكتابية التراث الإسلامي؟

4 ـ إشكالات نقل علم أو فكر عن طريق الكلمات.

5 ـ تمهيد للمقدمة العامة التي تمثل الإطار العام لموضوع الكتاب.

-1-

بعد المدخل الذي هو عبارة عن حوار وديٍّ في لغة و نبرة عصرية، سيجدُ القارئُ مقدمة عامة للمعرفة المقدسة. في هذه المقدمة ستتغير اللغة و الأسلوب و النبرة و الإيقاع، ستكون أقرب إلى نصوص الصوفية من النصوص الغربية أو المعاصرة. سيلاحظ القارئُ درجاتٍ مختلفة في المعلومات المعروضة، بعض هذه المعلومات موجّهٌ للخواص في حين أن معلوماتٍ أخر موجّهة لأشخاص يتمتعون بثقافة قرآنية جيدة.

الصعوبة الأساسية في المقدمة العامة تكمنُ في طرحِ بعض الأفكار على شكل عرض وشرح طويل للغاية؛ لمعلوماتٍ ما هي إلا مقدمات منطقية **لنتائج غير مصرح عنها** بل متروكة للقارئ. هذه المقاطع تحتاج إلى انتباه متواصل و طويل، و قدرة عالية على ربط المعلومات و **استنباط المقصد.**

الجزء الثالث الذي يتغيّر فيه الأسلوب و اللغة تباعاً للمواضيع المطروحة هو مقدمة «للرسالة» بحدّ ذاتها. في هذه المقدمة سيجد القارئُ بعض التعاريف الضرورية، طريقة التعامل مع أية «رسالة»، و كيفية تناول «الرسالة» الواردة في كتابنا هذا. و كمثالٍ على تغيرات الأسلوب في هذه المقدمة، التعريفان الواردان في بدايتها؛ فهما بالنسبة لمن ليس عنده علمٌ بالموضوع المطروح لا يُعَرِّفان شيئاً و لا يقدمان شيئاً يستطيع المبتدئُ الانطلاق منه. إذن لمن يتوجه هذان التعريفان؟ ما الهدف منهما؟ و ماذا يترتب على ذلك؟ ما الإشارات الجوهرية؟ و ما التذكرة فيهما؟ يقابل هذا الأسلوب وضوح تعريف «الرسالة» و الإشارة. نص مقدمة الرسالة نصٌّ سلسٌ و قريب المنال قد تُفيدُ قراءته قبل المقدمة العامة لتوضيح ما قد يُشكِلُ فيها.

لا غنى عن المدخل لتناولٍ سليم للكتاب بأكمله عموماً و للمقدمتين خاصة.

المقدمتان أداتان لا غنى عنهما لتناول الموضوع الأساسي للكتاب و هو «الرسالة» .

إنْ أشكَلَ أيُّ أمر في المقدمتين فمراجعة للمدخل تقدِّمُ التوضيح أو الجواب اللازم. كذلك الأمر بالنسبة لما قد يُشكِلُ في الرسالة فالمرجع هو المقدمتان اللتان تحتويان على الأجوبة و الإيضاحات اللازمة.

كما سوف أشيرُ إليه لاحقاً، فإنَّ المقدمتين هما نوع من تسجيلٍ أو توثيق لجانبٍ مما يُطرحُ في التلقين الشفهيِّ التقليديِّ. إنهما دعوةٌ لإعادة النظر في طريقة التفكير و تصحيحها و تطويرها كتهيئ للاستفادة من المعرفة المقدسة.

المدخل و المقدمتان تكوِّنُ مع بعضها وحدةٌ متكاملة، و هي تساعد القارئَ ليكون لديه تناولٌ دقيقٌ للموضوع الأساسيِّ في الكتاب «الرسالة» أو لأيِّ مصدر مشابه. لذا، أقترحُ على القارئ قراءة المدخل والمقدمتان بتمعُّن عدة مرات، يتفكّر في محتواها ويعود إليها **إلى أن تصيرَ جزءاً من معلوماته و حاضرة في ذهنه** عندها يُطبِّقَ ما وردَ فيها حين قراءته الرسالة.

معظم الرسالة صعبٌ قراءتها و فهمها بدقة إلا لمن قطع شوطاً بعيداً و تعمَّق في المواضيع المطروحة فيها. الرسالة أصلاً هي للحفاظ على تراثٍ من الضياع، إنها ليست مكتوبةً للتعريف بهذا التراث أو نشره. بالرغم من ذلك، تحتوي الرسالة على مقاطع واضحة وعلى أعلى درجةٍ من الأهمية.

إنني أفكِّرُ حالياً أنْ ألحِقَ هذا الكتاب بكتبٍ أخرى تُكوِّنُ مع بعضها وحدة متكاملة يجدُ فيها الباحثُ المادة الضرورية لفهم أعمق لجانبٍ شاسع من المعرفة كادَ أنْ يندثر. أسلوبُ هذه الكتب أقرب ما يكون إلى أسلوب الرسالة في هذا الكتاب حيث إن بعض النقاط مشروحة بوضوح و صراحة، و الباقية محطاتٌ للتعليم الشفهي.

لا بدَّ أن أشيرَ أخيراً أنَّ هذا الكتاب كُتِبَ أصلاً بالإنكليزية لقارئٍ غربيٍّ متخصص، و هذه النسخة ترجمة شبه حرفيّة للنص الإنكليزي. هذا يفسِّرُ صياغة الكثير من الجمل و المقاطع من حيث أسلوبها ومن حيث المعلومات أو الثقافة الضرورية لفهمها.

-2-

قد يستغربُ بعض القراء الغربيين وجود بعض المعلومات التي يعتبرونها من صلب ثقافتهم معروضة في هذا الكتاب كجزء من التراث و الثقافة الإسلامية.

في الحقيقة، تكمن المشكلة في اعتيادهم النظر إلى هذه المعلومات من خلال زوايا وتصورات معينة، إنهم يرفضون غريزيّاً وجهات النظر الأخرى. يزداد الأمر سوءاً في حالة عدم وجود وثائق لديهم تثبت تراثاً إسلامياً فيما يعتبرونه غربياً.

يكمنُ الجواب في تعريف سليم للتراث الإسلامي و مراجعة دقيقة لمصادر المعلومات.

إنَّ قراءة دقيقة و ذكية للقرآن و الحديث باللغة العربية، تثبت أنَّ التراث الإسلامي لم ينطلق من منطلق فرديٍّ أو همجيٍّ ولم يكن أبداً إنكاراً لما سَبقهُ من التراث الإنساني الأصيل و الحقيقي. التراث الإسلامي لم يكن أبداً نسخة أو مزيجاً مما هبَّ و دبَّ من الحضارات السابقة.

إنّي أتساءلُ عن الآلية النفسيّة التي تدفعُ الكثيرين لاعتبار الفتوحات الإسلامية الأولى مثلما يعتبرون اجتياحات قبائل القوط و الفيزيقوط، الهانز و الفاندال و الجرمان و الفرنج للإمبراطورية الرومانية المنحدرة.

إنْ خرَّبَتْ هذه القبائل الهمجيّة الحضارة في أوروبا فلا يعني ذلك أنَّ المسلمين الأوائل قاموا بنفس الشيء لمجرَّد كون بعضهم من أصل قبليٍّ.

اجتياح القوط و القبائل الأوروبية الشمالية كان بربريّاً و همجياً و مخرِّباً إلى حدِّ أنَّ أوروبا غرقت في ظلمات الجهل لقرون مديدة.

قلبَ الفاتحون المسلمون إسبانيا المتخلفة تحت حكم الفيزيقوط إلى مركز حضاريٍّ متألق.

في أقلِّ من قرن و بعدَ أولى فتوحاتهم، أعطَتِ الحضارة الإسلامية ثِماراً ملموسة و تفوّقت على سائر الحضارات الأخرى المعاصرة لها.

هل كان يُمكن لذلك أنْ يحدثَ لو كانوا مجرد غزاة همج؟[1]

هل كان يُمكن لذلك أنْ يحدثَ لو أنهم نقلوا عن التوراة و القدماء؟

هل يمكنُ لنسخة أنْ تتفوّقَ على الأصل؟

إنْ كانوا حقاً غزاة همج، فلِمَ كان لديهم ذلك الشغف بالعلم؟

أظن أنه لن توجدَ أية مشكلة إنْ فكرنا ولو للحظة بما كان في عقول هؤلاء المسلمين الذين فتحوا العالم.

---

(1) من التهم الظالمة بحق المسلمين الذين كانت لهم الأيادي البيضاء في نقل التراث اليوناني مصححاً و مطوراً إلى أوربا تلك التهمة الراسخة في عقول الغرب أنَّ الفاتحين المسلمين هم الذين أحرقوا مكتبة الإسكندرية. علماً أنَّ أحداً من المؤرخين المسيحيين آنذاك لم يُشرْ بكلمة واحدة إلى هذه الحادثة المزعومة قبل ذكرها لأول مرة خمسة قرون بعد فتح الإسكندرية. فقد وصف أوتيخيوس (Eutychius) كبير أساقفة الإسكندرية عام 933 ميلادي، فتح الإسكندرية بتطويل كبير و لم يُشر أية إشارة إلى هذه الحادثة. أول من ذكر هذه الأكذوبة هو مع الأسف ابن اللباد عبد اللطيف البغدادي (1161–1231م). ترى من همس في أذنه هذه الأكذوبة عندما زار مصر خمسة قرون ونصف القرن بعد فتح الإسكندرية؟ على كل حال الذي تولى إكمال هذه القصة بتفاصيل مؤثرة و مثيرة (مثل الأمر الذي أصدره عمرو بن العاص بالكتب لتكون وقوداً لحمامات الإسكندرية الأربعة آلاف ! لمدة ستة أشهر !) هو المؤرخ اليهودي المتنصر الشامي بارهيبرايوس (Bar Hebraeus) الملقب بأبي الفرج (1226–1286م). يكررون الأكذوبة التالية من بعد استثارة مشاعر السامع إلى كنوز الحضارة البشرية القديمة التي تلفت في هذه المكتبة. الأكذوبة التي لا يملون تكرارها هي أن عمرو بن العاص كتب إلى عمر ابن الخطاب يسأله ماذا يفعل بالمكتبة فأجابه عمر إنّ الكتب التي فيها إن لم تتفق و القرآن فيجب حرقها و إن اتفقت معه فما الفائدة منها؟ أحرق المكتبة! مع العلم أنّ أول حريق أتلف تراث القدماء الذي لا يقدر بثمن كان عند اجتياح يوليوس قيصر الإسكندرية عام 47 ق.م. أعيدت بعدها الحياة إلى مكتبة الإسكندرية ولكن ما لبثت أن تعرضت للتخريب على يد الإمبراطورة كسينوبيا والإمبراطور ديوكليسيان. أما الذي قضى على مكتبة الإسكندرية و أتلف ما فيها فهو الإمبراطور البيزنطي تيودوس الأول عام 391 م. وذلك في جملة عمليات التخريب الواسعة التي قام بها لكلّ ما لا يوافق عقيدة الكنيسة. لم يكن هذا التعصب الجائر طفرة بل كان أشبه بالقاعدة، إذ إنّ الإمبراطور البيزنطي جوستينيان هو الذي أغلق المدرسة الأفلاطونية الشهيرة في أثينا و كذلك مدارس الإسكندرية لعدم توافقها مع آراء الكنيسة. لنفس الأسباب أقفل الإمبراطور البيزنطي زينون عام 489 م. مدرسة أديسا الشهيرة في نشر السريانية و الثقافة اليونانية عبر سائر المشرق وفي زمنه تمّ إتلاف ما تبقى من كتب قديمة في الإسكندرية. في عام 728 أحرق ليون الإيزوري آلاف المخطوطات في القسطنطينية و استمر ذلك قروناً على يد محاكم التفتيش المقدسة التي كانت تسير على خطا مؤسس الكنيسة بولوس الرسول أو شاؤول الفيريزي و الذي أمر أتباعه عام 54 في مدينة إيفيسوس لحرق كل الكتب التي تتكلم عن أمور غريبة.

كان لديهم القرآن و الحديث[1].

ما عسى أن تكون عقلية أولئك الفاتحين الذين في عقولهم و قناعاتهم شواهد قرآنية كثيرة تحثُّ على العلم منها قوله تعالى: ﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ...﴾ [الزمر: 39/ 9]، أو حديثاً مثل الذي رُويَ عن النبي ﷺ عندما سُئِلَ عن العلم؛ إذ قال: «فضلُ العالم على العابد كفضلي على أدناكم» [سنن الترمذي: 2609]. بكلماتٍ كهذه وتأثيرها في عقولهم يمكننا تصور حماس أولئك المسلمين في طلب العلم.

ما يصعبُ فهمهُ على البعض هو نتيجة هذا الطلب و هذا الإقبال على العلم، عندما يكون لدى أولئك المسلمين الأسس و المفاتيح الكونية للمعرفة المقدسة و التي أتتهم عن طريق الوحي. النتيجة كانت مذهلة إلى درجة أن بعض الباحثين أمثال «دوسو» كان مستعداً لكتابة أية حماقة تثير الشفقة في دراسة عن الجامع الأموي، الرمز المجسّد لهذه القفزة الحضارية، فقط لإثبات العكس.

كانت الحروب الصليبية الصدمة القاسمة بالنسبة للغرب. لقد شعر الصليبيون عندما عادوا إلى أوروبا مدحورين بحاجة ملحّة للحاق بركب الحضارة الإسلامية.

لقد ازداد الطلب و البحث عن الكتب الإسلامية و كذلك ترجمتها من قبل الرهبان البنديكتان خاصة، و ذلك بمعونة اليهود الإسبان. لعلّ هذا الاقتناء و هذه الترجمة أنقذت جزءاً مما تلف في الخراب الذي لا يمكن تصوّره و الذي أحدثهُ التتار و المغول في المكتبات الإسلامية. كثيراً من الكتب الإسلامية كانت مخبأة في الأديرة الأوروبية، كانت هذه الكتب تعتبر خطيرة. لقد كانت موضوعة تحت تصرّف بضعة من ثقاتهم.

مع الأسف، كان الإسلام و المسلمون مبغوضين لكونهم العدو. أية إشارة إلى العدو في أوروبا محاكم التفتيش كان أمراً غير محمود. كان من الأفضل تحت ظلّ القائمة السوداء البابوية (Index)؛ أن يترجم الكتاب، أن تُعاد كتابته، أن يُغيّر، وأن لا يُذكَر الأصل. حتى هذه الاحتياطات لم تكن كافية لتجنّب غاليليه تهمة الهرطقة لمجرّد تصريحه بدوران الأرض،

(1) كي يفهم الباحث عقلية أولئك الفاتحين لا بدّ له أن يعرف ما كان في عقولهم. إحداث فهرس لموضوعات القرآن وحده يكفي لإعطاء فكرة عن سعة أفق و سعة اطلاع من يتدبّر القرآن. ولا بدّ أن أذكّر أن أولئك الفاتحين كانوا على احتكاك وثيق بأرقى بقعة في العالم آنذاك سنوياً في رحلة الشتاء و الصيف.

إذ اضطر عام 1633 إنكار ذلك راكعاً على ركبتيه مطأطأً رأسه أمام محكمة التفتيش كي لا يموتَ حرقاً، وبقي المسكين مطروداً من رحمة الربّ و الكنيسة إلى أن عفا عنه البابا يوحنا بولس الثاني و ذلك في أواخر القرن العشرين.

في أيامنا هذه أصبح معروفاً أنَّ ليوناردو دا بيزا الملقّب بـ«فيبوناتشي» أدخل الأرقام العربية إلى أوروبا و كذلك السلسلة الشهيرة المعروفة باسمه. و لكننا مع الأسف لا نعلم الأصل الإسلامي لهذه السلسلة التي كثيراً ما نصادفها في العمارة الأيوبية مثلاً[1].

لقد نسي هارفي أن يذكر ابن النفيس الدمشقي و نسبَ اكتشافه لنفسه. لم ينسَ باسكال أنْ يعبّرَ عن حقده تجاه الإسلام و المسلمين[2] ولكنه نسي أنْ يذكر أنَّ صاحب المثلث الشهير الذي نسبه لنفسه هو الكرخي. مخطوط الكرخي موجود في المكتبة الوطنية في باريس. أعمال الطوسي ظهرت و بشكل عجيب قروناً بعد وفاته في أعمال ديكارت، كذلك الأمر بالنسبة للبيروني و نيوتن. اكتشافات أبو الوفا البوزجاني الفلكيّة المتعلقة بخلل حركة القمر نُسبَت إلى تيخوبراهي، و أعمال البتاني في الجيب و التجيب و الظل نُسبت جوراً إلى ريجيومونتانوس الذي نَسبَ لنفسه معظم نظريات أبو الوفا في علم حساب المثلثات و كتبها في كتابه «دي تريانغليس» (De Trianglis). نُسبَ اختراع الرقاص (البندول) زوراً إلى غاليليه في حين أن الذي اخترعه ـ ستة قرون قبل غاليليه ـ هو ابن يونس الصدفي الذي هو مبتكر فكرة اللوغاريتم المنسوبة إلى جون نيبير. لم يشعرْ كوبرنيك بأيّ حرج لينسبَ لنفسه اكتشافات ابن الشاطر الدمشقي العظيمة. لا تزال مخطوطات ابن الشاطر في بولندا مسقط رأس كوبرنيك.

---

(1) راجع تعريف النسبة الذهبية صفحة (175).

(2) في أشهر كتاب لباسكال «Les pensées» والذي يعتبر من أمهات الكتب الفكرية الكلاسيكية الفرنسية و الغربية يقارن باسكال بين المسيح و محمد ﷺ في الفقرة 599. بعد أن يصف محمداً ﷺ بالقاتل، يتابع أنّ محمداً ﷺ حَرّمَ القراءة في حين أن الحواريين أمروا بالقراءة. مصادر باسكال لم تكن أبعد من ابن بلده Montaigne الذي يقول: «محمد الذي ـ **كما سمعت** ـ كان يحرّم العلم على رجاله». لعلّ مصدر Montaigne الذي منه **سمع** هذه المعلومة لم يكن أبعد من أمّه التي تنحدر من عائلة يهودية فرّت من الإسبان.

أول كلمة من القرآن نزلت على سيدنا محمد ﷺ كانت «اقرأ» في حين أنه ـ ليس بزمن بعيد قبل ولادة باسكال ـ كانت عقوبة الذي يتجرأ و يقرأ ترجمة الكتاب المقدس غير **الترجمة** اللاتينية الرسمية هي الموت حرقاً والعقاب الأبدي في الجحيم، علماً أن القلائل الذين كانوا يستطيعون قراءة اللاتينية كانوا من الإكليريكوس أو من أعلى طبقة في المجتمع. يكفي المرء أن يلقي نظرة إلى مجلدات الـ Index و هي القائمة السوداء التي يُحرّم على أتباع الكنيسة قراءتها.

أيّ باحث جادّ و معاصر يعلم أنّ الأمثلة السابقة ليست سوى حالات شهيرة في قائمة طويلة لا تتضمن الكتب التي لا تزال مخبأة و الآثار و الدلائل التي طمست.

التاروت محتقر من البعض، معظّم لدى آخرين، كثيرون أولئك الذين قاموا بدراساتٍ موسّعة عن التاروت، إنهم نادراً ما أشاروا أنّ العرب هم الذين أدخلوا التاروت إلى أوروبا في القرن الثالث عشر كما تؤكدّ أبحاث جيرار فان راينبرغ[1].

العرب حتماً لم يُدخلوا التاروت إلى أوروبا بالتشويهات التي طرأت عليه فيما بعد. ما الغريب في الأمر إن كان ما يزال هناك حتى الآن مسلمون لديهم المفاتيح الصحيحة لفك رموز التاروت؟ تراثهم كونيّ و نقيّ لدرجة أنهم قادرون على فهمٍ دقيق و عميق للرسالة الحقيقية للتاروت و للتراكتيس مثلاً[2].

مرة أخرى تبدو التتراكتيس بلا أية علاقة بالتراث الإسلامي.

إنّي أعرف غربيّين يدَّعون أنهم تلقّوا تراثاً شفهياً يرجع إلى الفيثاغورثيين والأفلاطونيين، إنهم يعتبرون أنفسهم الورثة الشرعيين للتراث الإغريقي في علوم الخواص. إنهم سوف يشعرون بانزعاج إنْ تقدّمَ مسلمٌ بقراءة للتتراكتيس من خلال التراث الإسلامي. إننا نقع ثانية في مشكلة المراجع.

مراجعة بسيطة لبعض الحقائق المهملة توضِّحُ المسألة.

لم تبدأ الحضارة مع الإغريق.

إن الشكل الأصلي «Prototype» للمعابد اليونانية وُجدَ في إيمار أو «عمار» المدينة السورية التي كانت مزدهرة على الفرات في الألف الثانية قبل الميلاد.

«الكيسون» (Caisson) والذي يُعتبر تفصيلاً مميّزاً في العمارة اليونانية ـ الرومانية تمّ إبداعه، كما أثبتت الحفريات الحديثة، في الألف الثانية قبل الميلاد في مدينة ماري على الفرات و الموجودة الآن في الأراضي السورية.

إنّه لأمرٌ طريف كيف سمى مؤرخو الفن بعض الأعمدة المصرية بأعمدة ما قبل الدورية، و هذه الأعمدة أنشئت في مصر عندما كانت شعوب اليونان ما تزال شعوباً مما قبل التاريخ. لماذا لا نسمّي الأعمدة الدورية أعمدة ما بعد المصرية؟ طبعاً سيبدو الأمر مستهجناً.

---

(1) راجع تعريف التاروت صفحة (172).

(2) راجع تعريف التتراكتيس صفحة (171).

إنه معلوم أن قدموس الفينيقي أو بشكل أدق، الكنعاني، هو الذي أنشأ مدينة طيبة وهو الذي عَلَّم الإغريق الأبجدية التي وُجِدَتْ على الساحل السوري في آواخر الألف الرابع وأوائل الألف الثالث قبل الميلاد، أوروبا أخذت اسمها عن أخت قدموس.

لقد وُلِدَ فيثاغورث من تاجر ثريٍّ كثير السفر، في صيدا كما تقول بعض ترجماته العتيقة، صيدا المدينة الفينيقية أو الأكثر دقة، الكنعانية، و التي كانت من أشهر مدن الساحل السوري. في ساموس، كان أول أستاذ لفيثاغورث هو فيريسيدس السوري. لقد أشار تالس على فيثاغورث الشاب الذهاب إلى مصر. لقد ذهب أولاً إلى صيدا على الساحل السوري، ثم انتقل إلى بيبلوس و صور و كلتاهما مدن شهيرة في ذاك الزمان على الساحل السوري ثم انتقل إلى مصر حيث مكثَ اثنتين و عشرين سنة ثم أُسِرَ و أخِذ من قِبَل جنود كامبيس إلى بابل. بعد اثنتي عشر سنة و عندما كان في عامه السادس و الخمسين، عاد فيثاغورث إلى ساموس ليُدرِّسَ ما تعلمه من حضارات الشرق الأدنى. لقد كان أثره على الإغريق هائلاً و كانت لأفكاره مكانة عظيمة في أعمال أفلاطون و المدرسة الأفلاطونية الجديدة أو مدرسة الإسكندرية.

يقول بورفيري: «لقد أشار نيانتس في كتابه الخامس من القصص أنّ فيثاغورث كان سورياً من مواطني مدينة صور».

لم يخترعْ فيثاغورث نوطات الموسيقى السبع، إنها كانت موجودة من قبله و بزمن بعيد في بلاد الرافدين كما تُثبت الحفريات الحديثة.

لم يكتشفْ فيثاغورث المثلث المنسوب إليه، إنه كان معروفاً و منذ زمن بعيد قبله. الأجدر أن يُسمّى هذا المثلث بالمثلث المصري.

هل كان فيثاغورث مخترع التراكتيس؟ قطعاً لا.

التراكتيس كانت منحوتة و ممثلة بطريقة مختلفة قليلاً عمّا هي معروفة حالياً في معظم الأبنية المقدسة في سورية خاصة منذ عهدٍ بعيد مثل الألف الثاني قبل الميلاد إلى أيام الرومان تحت حكم السلالة السورية للأباطرة الرومان، و كذلك في العمارة التدمرية.

لقد ظهر هذا التفصيل المعماري ثانية في ظل أول إمبراطورية إسلامية: الخلافة الأموية و التي كانت عاصمتها دمشق. و استمر هذا التفصيل شائعاً و دارجاً في العمارة الإسلامية.

على كل حال، فإنّ مركز إشعاع الفكر الفيثاغورثي والنيوأفلاطوني في مراحله الأخيرة كان في المنطقة الممتدة بين عاصمتي الفكر آنذاك الإسكندرية و إنطاكية. لقد كان ألمَع ممثلي هذا الفكر أعلامٌ مشاهير مثل نومينوس الآفامي (وسط سورية) و نيكوماخوس الجرشي (جنوب سورية) و يامبليخوس البقاعي (غرب سورية) و أنطونيوس اللاذقاني (الشاطئ السوري).

إنْ كان طبيعياً أن يدّعي بريطانياً فرنجياً أو جرمانياً كونه وريثاً شرعياً للتراث الفيثاغورثي[1]، فما هو غير المقبول عندما يتقدّم مسلم من الشرق الأدنى بقراءة للتراكتيس مستندة إلى المفاتيح الكونية والصحيحة الموجودة في التراث الإسلامي؟ خاصة وأنّ مشعل ريادة الفكر و المعرفة و الحضارة انتقل مباشرة إلى المسلمين في العقود الأولى من الإسلام أيام الأمويين، و حملوه بجدارة عدة قرون قفز خلالها الفكر البشريّ بعد جمودٍ طويل قفزاتٍ لم يعرفها في تاريخه.

في الحقيقة المبدأ الأساسي في الإسلام هو الوحدانية. يعلمُ المسلمون أنّ الحقيقة واحدة.

الحقيقة تتجلى بطرق مختلفة وعلى مستوياتٍ مختلفة. الحقيقة متجلية لدى المسلمين بأشكال مختلفة و ذلك في مصادر الوحي التي حافظوا عليها نقيّة بلا تغيير. إنهم يستطيعون بالقياس فهم أيّ تجلٍّ للحقيقة فهماً عميقاً و صحيحاً و دقيقاً.

إن قراءة صحيحة و ذكية للقرآن و الحديث باللغة العربية تُثبت أنّ التراث الإسلامي هو استمرار و تطهير و إكمال لجميع ما سبقه من التراث الكوني:

---

(1) أوردُ كمثال على ذلك، القسم الذي أقسمه أتباع فريق الأبحاث و الدراسات على الحضارة الأوروبية:

Groupe de **R**echerche et d» **E**tudes sur la **C**ivilisation **E**uropéenne: **G.R.E.C.E**

وهي مدرسة فكرية أسسها الفرنسي آلان دو بونوا Alain de Benoist فقد أقسم أعضاء هذه المجموعة ومعظمهم من الفرنسيين في حج إلى مدينة دلفي عام 1972 هذا القسم: «نحن هيلينيون، إيطاليون، بلجيكيون، و فرنسيون مجموعون اليوم تحت شعار و رعاية (الإله) أبولون و نيابة عن جميع إخواننا الأوروبيين، نقسم أن نعمل بكل طاقاتنا و كل إرادتنا لبعث الثقافة الأوروبية. في هذا المكان المقدس من دلفي والذي لطالما كان رمزاً لعالمنا، نقسم الولاء **لإرثنا** و الولاء لأبنائنا».

أوردُ تعليقاً على ما سبق حرفياً كلام المؤرخ الفرنسي أودون فاليه Odon Valet: «إنّ هذا التناول العاطفي يُخوّل الاستئثار بإرثٍ حضاري فقط للأوروبيي المنشأ. شرط أن ننسى أنّ اللصوص الذين نهبوا كنز دلفي المقدس هم الغولوا (سكان فرنسا الأصليين)».

على الأقل 17 مرة في اليوم وفي الصلوات الخمس يسألُ المسلمون الله جل جلاله في الفاتحة:

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ...﴾ أي ممّن سبقنا من أمم سارت على طريق الحقيقة.

تبدأ أول سورة طويلة في القرآن بقوله تعالى:

﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ

هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣

وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤﴾ [البقرة: 2/ 1-4].

وهو دليل آخر على ارتباط المسلمين بمن سبقهم ممّن تلقوا نفحات من الحقيقة وعلى أنّ الإسلام هو استمرار لطريق أهل الحقيقة.

في اللغة العربية لا يذكر المسلم اسم نبيّ إلا و يسبقه بعبارة «سيدنا» أو يضيف إليه عبارة «عليه السلام». عموماً العبارتان تستخدمان معاً للتأكيد على عظيم إجلال المسلمين لجميع الأنبياء و خير ما يعبّر عن ذلك آية شهيرة من سورة البقرة:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ

كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ

لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ

وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: 2/ 285].

و نجدُ تأكيداً آخرَ في سورة آل عمران (آية 84):

﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا

وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ

وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ

لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ

وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: 3/ 84].

لقد أصرّ الرسول ﷺ على هذا الأمر عندما طلب من أصحابه ألا يفضلوه على «يونس بن متى»؛ كما في الحديث: «وَلَا أَقُولُ إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى» [صحيح البخاري : 3162].

في الحقيقة المسلمون يعظمون الأنبياء جميعهم بلا تفضيل. الأنبياء يمثّلون جماعة أهل الإيمان و المعرفة الحقيقية، إنهم يكوّنون أمة. في سورة الأنبياء ذكِرَ عظماء الأنبياء كلٌّ منهم مع جانبٍ أساسيٍّ من حياته، و في آخر ذلك الذكر يختم الله تعالى بقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: 21/ 92].

-3-

الموضوعُ الأساسيّ لهذا الكتاب هو معرفة هُيئْتُ لتلقّيها منذ طفولتي المبكرة. منذ نعومة أظافري أوتيتُ، و بطريقة مرهفة، المفاتيح الأساسية لبعض علوم الخواص. في الرابعة عشرة من عمري بدأتُ خطواتي الأولى و كذلك بدأتُ أحصِّلُ معرفة تلقيتها لسلوكي في الطريق، بطرق و من مصادر مباشرة و غاية في الخصوصية.

مع الوقت، تحصل لدي معلومات نادرة أطْلَعتُ عليها عدداً من أساتذةِ الجامعات في بريطانيا و فرنسا و ألمانيا و الولايات المتحدة و مصر و لبنان و سورية، و كذلك عدداً من الشخصيات الدينية و الفكرية و ذلك منذ بداية عام ثمانين وتسعمائة و ألف.

منذ بضع سنوات بدأت أسبابٌ كثيرة و مختلفة تدفعني إلى نشر جانبٍ مما تلقيتُ، فمثلاً عندما قرأتُ دراساتٍ مستندة إلى التراث الإسلامي أو تدور في فلكهِ أو عندما التقيتُ بمتخصصين يعملون في هذه المواضيع، صُدِمْتُ لكيفية تناول الموضوع و فهمه و النتائج التي وصلوا إليها. لقد كان ذلك جليّاً خاصة في الدراسات المتعلقة بعلوم الخواص و الفلسفة الروحية و حتى في مجالات مثل العمارة الإسلامية.

كم من مرةٍ حيّرني الجهل الفاضح لبعض الجهات المتخصصة في دراسات و أبحاث في دائرة الإسلام و حضارته.

كيفَ لِمتخصصينَ كهؤلاء أنْ يدّعوا كونهم على مستوى مسؤولية أستاذ جامعة يُدَرِّسُ مواضيعاً تتعلق بالإسلام في حين أنهم عاجزون عن قراءة و فهم جملة واحدة في اللغة العربية؟

كيف لهم أنْ يدّعوا ما يدّعون في حين أنهم لا يستندون إلا على ترجماتٍ ولم يتسنَّ لهم أبداً الرجوع إلى الأصول؟

كم من هؤلاء المعتبرين مرجعاً في دراساتٍ متعلقة بالإسلام كانوا و هم يحكمون على الإسلام غير واعين أنَّ ما يحكمون عليه إنما هو خيالهم و ليس الحقيقة.

إنني التقيتُ بأستاذ جامعة شهير يُعتبرُ مرجعاً في الفن و العمارة الإسلامية، وهو مكلفٌ بتدريس مواضيع و الإشراف على أبحاث على مستوى الدكتوراه في مواضيع غالباً ما تدور حول أعلى مجالات الفكر و الفلسفة الإسلامية. إنه غالباً ما يستشهد بابن العربي وهذا يُبهِرُ محيطه من حوله.

لقد دُهِشتُ و خاب أملي عندما اكتشفتُ أنّه يجهل تماماً كثيراً من الأسس التي لا غنى عنها لفهم أية معلومة، تتعلّقُ بالفلسفة الروحية الإسلامية أو حتى ما يتعلق بالفن أو العمارة المقدّسة الإسلامية. إنه عاجز عن قراءة جملة واحدة في النص العربي للفتوحات المكيّة و قد شرعَ في كتابة تعليق على تعليق على كتاب «فصوص الحكم» لابن العربي.

لو أنّه كان هاوياً أو كان يدرس في أيّ مجال آخر لكانَ معذوراً.

إنّه لمن المؤسف أنَّ كثيراً من المسلمين تأثروا بآراء هؤلاء المتخصصين و كوّنوا قناعاتهم تحت إشرافهم في الجامعات الغربية.

تكمنُ المشكلة في حقيقة كون المصادر المتوفرة لدى أولئك الباحثين الغربيين عبارة عن ترجماتٍ لكتب عربية تمثل جانباً من التراث و الثقافة الإسلامية.

إلى جانب هذه الترجمات توجدُ الكثير من الدراسات عن الإسلام مستوياتها مختلفة جداً، بعضها رائع، و الآخر ... يصعبُ وصفهُ...

أمام هذا السيل من الدراسات فإنَّ الطريقة الوحيدة التي لدى الغربيّ ليَحكمَ عليها هو أن يقابلها مع عقليته و ثقافته المتأثرة بعمق بالكتاب المقدس و بالكنيسة، و كذلك بأن يقابلها بما عُلِّمَ و ما يَعلمُهُ عن الحضارات الأخرى.

المشكلة الأساسية التي يواجهها ذلك الباحث هي مشكلة المصادر و المراجع الإسلامية الأصلية. في هذه الحالة، توجد المصادر الشفهية النادرة للغاية و الصعبة المنال بالإضافة إلى المراجع المكتوبة التي تغطي بضعة عناصر من المراجع الشفهية.

بسبب التقلبات المأساوية التي حدثت في البلاد الإسلامية، فإنّه من النادر وجود مَنْ لديهم التراث الإسلامي الحقيقي الكامل.

إنني مسلم من مدينة دمشق عاصمة الأمويين التي ارتبط اسمها بذكرى أعلام مثل سيدنا إبراهيم و إلياس و اليسع و يحيى و عيسى عليهم السلام، و أبوليدور الدمشقي، و كثير من

الصحابة الكرام أمثال سيدنا بلال و سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنهما، و كذلك كثير من أعظم العلماء و العارفين المسلمين أمثال الغزالي، ابن عربي، الرومي، شمس تبريز، الطوسي، ابن الشاطر، ابن النفيس، الفارابي، ابن كثير، ابن تيمية، الجلدكي ...

الثقافة الإسلامية التي لدى أفضل المثقفين المسلمين الدمشقيين نادراً ما تتجاوز في أيامنا هذه حدود الكتب العربية المطبوعة. إنّه شيء ممتاز و لكنه لا يعني أن ما يجهلونه و ما لا يوجد في الكتب المطبوعة لم يوجدْ أبداً في التراث الإسلامي. بدأتُ ملاحظة هذا الأمر عندما تبيّنَ لي أنَّ التراث الإسلامي المتعلق بالهندسة المقدسة قد ضاعَ تماماً في أجيال ما بعد الحرب العالمية الثانية في مدينتي. كذا الأمر بالنسبة للتراث المتعلق بعلم الحرف، و خاصة بالتراث الشفهي المتعلق بعلم الرقم.

إنّني في موضع يخوّلني قول ذلك بسبب ما تلقيتُهُ من خلال عائلتي، حيث كان جدّي أحد أعلى القائمين على أمور الإسلام في الدولة العثمانية. كذا الأمر بالنسبة لوالده الشيخ محمد الذي كان قاضي الشام، شيخاً مُحدِّثاً شهيراً معتكفاً في الجامع الأمويّ، ملقباً بأبي حنيفة الصغير، و كان تلميذاً لابن عابدين صاحب الحاشية.

تلقّى أفرادٌ من عائلتي علوماً خاصة لكونهم من سلالة سيدنا الحسن عن طريق الشيخ عبد القادر الجيلاني و في سلسلة معروف الكرخي و حسن البصري و الجنيد. أقولُ بأسف إنني الآن الوحيد بين أفراد عائلتي الذي يحملُ ما تبقى من هذا التراث.

كثير من المنتمين إلى البيئات التقليدية و الذين تلقوا علوماً خاصة، لم تسنح لهم الفرصة لنقل علومهم خارج دائرتهم الضيقة كما تسنّى لي. بعض ممّن التقيت بهم مغمور تماماً لديه بقايا من علوم نفيسة.

نقص في المراجع لا يعني عدمَ وجود تراث في مجال معيّن.

إنني أظنُّ أنه لمن السذاجة تصوّر أنَّ ما نُشِرَ من أعمال مؤلفين مشهورين أمثال الرازي و ابن سينا يمثّلُ جوهر المصادر المكتوبة المتعلقة بالحضارة الإسلامية.

إنَّ شهرة بعض المؤلفين ليست بالضرورة ضماناً أنَّ كتاباتهم المعروفة هي خير ما يمثل هذا المجال.

كثير من العلماء العارفين غُبِنَ حقُّهم أو كانوا مجهولين تماماً حتى من قِبَل معاصريهم لأنهم عملوا لوجهِ الله تعالى لا بحثاً عن عزٍّ بين الناس و الأمراء.

رُويَ لي أنَّ أحد مريدي الشيخ بدر الدين الحسني دخل عليه فوجده يجهش بالبكاء، و ردّاً على دهشة مريده قال: إنه يبكي إذ دنا أجلُهُ و اقترب رحيله و لديه سبعة عشر علماً لم يسأله أحدٌ عنها و لا حتى سؤالاً واحداً، و يخاف سؤال الله تعالى له. قبلَ وفاتِهِ، و كونه لم يحصل على الإذن، أمر الشيخ بدر الدين بحرق جميع مؤلفاته، كما فعل الكثير من العارفين. على الرغم من علمه و سعة اطلاعه في علوم الخواص لم يكتب جدّي شيئاً منها، في حين أنَّ صديقه الشيخ أحمد الحارون ترك مؤلفات ما تزال موجودة عند أحد ورثته و هو إلى الآن لا يجرؤ على التصرّفِ بها. هؤلاء الرجال الثلاثة تُوفُّوا قبل عقود قليلة في دمشق. إنّهم في أيامنا هذه مجهولون عملياً، فما بال العلماء العارفين الآخرين في العالم الإسلامي؟

في الحقيقة كان هناك صنفان من الكتب؛ كتبٌ للتداول العام، و أخرى تنتقلُ ضمن سلسلة محدودة.

أصحابُ الكتب الأخيرة كان همُّهم الحفاظ على جانبٍ من العلم الذي تلقوه، لذا فقد اتخذوا احتياطاتٍ على الرغم من أنّ هذه الكتب لم تكن للتداول؛ إنهم كانوا يكتبون بطريقةٍ لا تُمكِّنُ إلا الذين أوتوا المفتاح الشفهي فتحَ جميع الأبواب إنْ أذِنَ الله تعالى ذلك. عموماً كانت توجد نسخة واحدة.

إنّ المصادر المكتوبة عموماً هي أعمالٌ مؤلفة من قِبَل و لأجل عقلياتٍ في بلدان و أزمان و ظروف حددت محتواها، وشكلها، وأسلوبها، وعباراتها.

هل تكفي معرفة باللغة العربية أو الفارسية لتناول هذه الكتب و فهمها؟

أصلاً، و حسب الأصول، كانت هذه الكتب تُقرأ من قِبَل مريدين مختارين و ذلك في حضرة

الشيخ. ذلك كان يُمكِّنُهم من أخذِ ـ فقط ـ ما يجبُ أخذُهُ من كتاب، و من ثم إعادة صياغته بفهم صحيح ليكونَ مكمِّلاً لما سبق و تعلّموه و ذلك ضمن محيط المفهوم العام للموضوع كما تلقوه.

أولئك الذين سنحت لهم الفرصة لتلقي مثل هذا التعليم يمكنهم إدراك الهوّة ما بين المفهوم الدقيق الذي تلقوه، و دراسة لنفس الموضوع قام بها أشخاصٌ جاؤوا من «الخارج».

نحن في عصر يفتح فيه المرءُ عينيه على سيل من الكلام المطبوع يبدأ بالمدرسة حيث تُعامِلُ المناهجُ الذكيَّ معاملة الغبيّ من باب المساواة في إعطاء الفرص، فيعتاد المرء على كتبٍ مفروضة عليه مرتبط بها «مستقبله»؛ مبسّطة و موضّحة إلى درجة قتل قدرته على الاستنباط، كتبٍ إنْ لم تنحنِ أمامه يغضب عليها ! إذ يُفْتَرَضُ فيها وجود كل ما يحتاجه قد جيء به إليه، إذ لم يتعوَّدْ أن يقومَ من مقعده ليبحثَ عما نقصه. أولى قراءته الحرة عندما تتبلور شخصيته غالباً ما تكون؛ إما من المسليات من الصحف و المجلات و إما من الروايات؛ فيعتادُ قراءة سطحية سريعة كقراءة قارئ صحيفة أو رواية لا يهمّه ممّا يقرأ سوى متابعة الأحداث و معرفة ما في الصفحة التالية. هذا الأسلوب بالذات يترسّخُ لدى معظم الناس في زماننا في قراءة مطالعة سريعة مشتّتة و سطحية ذريعتها قلة الوقت.

إننا في زمن كثر فيه طرح الكلمة المسموعة و المقروءة في دور النشر و الصحافة و أجهزة الإعلام خاصة، حيث نجدُ أفكاراً صغيرة تسبحُ في فيض من الكلمات لبَّدتْ حسَّ الناس و أتخمت عقولهم و أوهنت قدرتهم على التفاعل الديناميكي مع نص مكثف أو كلماتٍ تدعو إلى وقفة تفكّر و تأمّل.

ترى هل حسُّ قارئ معاصر يُشابه حسَّ قارئ قبل ألف سنة يقرأ في هدوء و طمأنينة و بركة من وقت مخطوطة ثمينة؟

الطريقة العامية أو السوقية التي تُقرأ بها كتب العلم في أيامنا هذه أمرٌ يفوق التصور بالنسبة للسالكين.

إنّ القراءة السليمة لنص من نصوص العلوم المقدسة تكون بعدَ تحضير طويل و دقيق للمريد القادر.

يُعَلَّمُ المريد كيف يرفع نفسه إلى مستوى العلم الذي يأمل تلقيه.

يُعَلَّمُ المريد أنّ مستوى فهمه يتغيّر تبعاً لحاله إذ ما فائدة فهم الكلمات إن لم تُفهَم المعاني؟

لوجود حاجة قوية للفهم لا يُقصِّرُ المريد في تهيئة أفضل الظروف التي تساعده على الفهم. إنه يتحاشى أيّ شيء قد يعمي بصيرته، إنه يَعلَمُ أنه أمر غير مقبول إطلاقاً طلب علم من خلال قراءة كتاب دون تطبيق قواعد الآداب التي تلقاها من الشيخ، مثل أن يكون على طهارة و وضوء، لائق الملبس و المجلس و قد صلى ما تيسّر و ذكر و دعا سائلاً التوفيق و الفتوح، وتبرّأَ من حوله و قوته و خاصة من كبر نفسه.

الفرق الجوهري بين علوم الخواص و العام المطروح من العلوم لا يكمن في المعلومات المدّونة و إنما في الشخص الذي يتلقى هذه المعلومات. الفرق الجوهري يكمن في الملكات المتطورة و شفافية و آفاق الرؤية التي يتميّز بها السالك و خاصة في الإلهام الذي يطلب نورَه باستمرار. ما فائدة مكتبة عامرة إنْ لم يكن ثمة نور يضيء في ظلامها الدامس؟

علمٌ بلا إلهام أشبه ما يكون بجسدٍ بلا روح لا يلبثُ أن يتفسّخ.

لا يغيب عن أذهان السالكين قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: 24/ 40].

لم يُعلِّمْ أحدٌ، الباحثين المعاصرين آلية كتب علوم الخواص، ليست لديهم المفاتيح الأساسية؛ لأنهم لا يميّزون بين مقطع وُضِعَ كفخ للدخلاء و مقطع آخر ما هو إلا جزءٌ من رسالة مبدّدة. و كذلك لا يميّزون بين مقطع تقني يجب فهمه حرفياً، و آخر يُفهَمُ بالذوق، و آخر رمزيّ موجه لمن يعلم ما هو الرمز و كيف يُفهم، و لِمَ يُستخدم.

إنَّ ما سبق و ذكرته هو عن الحالة التي يُوفَّقُ فيها الباحث للتعامل مع مصدر جديّ. ولكن هل كلّ ما كُتِبَ موضع ثقة؟ هل جميع المصادر على نفس المستوى في تمثيل التراث؟ هل جميع ما كُتِبَ يغطي التراث الشفهيّ؟ هل تمثل الكتب التي لا تزال موجودة جميع ما كُتِبَ؟

إنني وريث ما تبقى من مكتبة خاصة ضخمة احترقت في القصف الوحشي للأحياء السكنية الدمشقية القديمة عام 1925 من قِبَل جيش **الانتداب** الفرنسي. في هذه المكتبة كان يوجد مخطوطات فريدة أنقِذتْ من كوارث أخرى. ما عسانا أن نقول عن آلاف المخطوطات الفريدة

التي تلفت بسبب الإهمال، أو في حوادث أو اجتياحات على مدى رقعة العالم الإسلامي، أو التي خُرِّبت على يدِ محاكم التفتيش المقدّسة أو غيرها؟

المصادر المكتوبة التي لا تزال موجودة ليست سوى بقايا كتاب محروق.

ما نُشِرَ في أيامنا هذه لا يُشكِّلُ إلا جانباً بسيطاً مما تبقى. البقية العظمى من المخطوطات التي لم تُنشَر، مبعثرة في مكتباتٍ شهيرة و بالذات في مجموعات خاصة أو مجموعات خاصة للغاية و ممنوعة لا يدخلها إلا أفرادٌ معدودون.

جميع ما ذكرته أعلاه يحدث خارج إشراف و موافقة الجهات الإسلامية المسؤولة ذات الكفاءة الحقيقية.

إنني أعرف كثيراً من الباحثين المخلصين الذين أدركوا الإشكالات المشار إليها أعلاه فيما يخصُّ المراجع الكتابية و الذين وَجَدوا أنّ الحلَّ يكمنُ في الاتصال بالمراجع الشفهية، لذلك حاولوا الاتصال ببعض العارفين. مع الأسف لم يكن أولئك الباحثون مستعدين و مهيئين للّقاء أو على علم بطريقة التعرف على الشيخ العارف العالم الحقيقي من بين جمهرة من المزيّفين ولا بطريقة التعامل معه. عندما تكلمتُ معهم تبيّن لي أنه لم تكن لديهم فكرة واضحة عن عقلية و قدرات و أساليب هؤلاء العارفين.

هؤلاء العارفون و بحسب مستوياتهم، إنْ لم يصرفوا شخصاً غير مرغوب به قبل اللقاء به، فإنهم قد يستقبلونه لغاية محددة.

إنهم غالباً ما يخفون أنفسَهم خلفَ مظاهر مربكة و أجوبة متناقضة.

إنهم لا يجيبون عن السؤال بل يجيبون عن السائل !

إنهم يعطون كل شخص الجواب الذي يستحقّه.

قد يتظاهرون بأنهم لا يعلمون شيئاً أحياناً.

غموضهم لا يمكن النفاذ فيه، ولكنهم عموماً لا يقصّرون في إعطاء فرصة أو نصيحة أو إشارة إلى الشخص الذي جاءهم، ولكن نادراً ما يفهم ذاك الأخير الإشارة، و نادراً ما يغتنم الفرصة.

إننا نواجه حقيقة مفادها أنّه يوجد فراغ أو نقص كبيران في المصادر لا يمكن أن تغطيه إلا المصادر الشفهية.

ظروف المعيشة في أيامنا هذه و المستحدثات التي دخلت فيها و ما لحق بها ... ! كل ذلك جعل التدريس التقليدي عملية شبه مستحيلة. و بالتالي نجد أن الورثة النادرين للتراث يرحلون بلا خلف يتابع رسالتهم.

بنفس الوقت، نظراً لأنظمة الجامعات المعاصرة و الجهات التي ترتبط بها هذه الجامعات، يوجد اهتمام متزايد بالمواضيع المتعلقة بالتراث الإسلامي.

المشكلة الأساسية التي تواجه أبحاثاً كهذه هي مشكلة المراجع كما سبق و ذكرت. هذا هو أحد الأسباب من بين أخرى كثيرة و مختلفة دفعَتْني لمحاولة بدء وضع جانب ممّا تلقيته بشكل كتابي.

-4-

كمحاولة أولى، اخترت أن أكتبَ رسالةً عن الموضوع الشاسع **المتعلق بالوفق المثلث وعلاقته بالصلاة** والتي هي أحد أركان الإسلام الخمسة، وذلك لأهمية هذا الموضوع وشموليته وكذلك لتسجيل ما لم يسبق وأن كُتب.

ولكنه يسيطر عليّ شعور بالارتباك الآن، و أنا أحاول أن أترجمَ جانباً من «كلٌّ لا يمكنُ تجزئته» إلى سلسلة من الفتات. و كذلك ترجمة أفكار ومفاهيمَ مجردة و لا محدودة إلى عباراتٍ عادية و محدودة.

في الحقيقة، المهمة كانت أسهل لي لو كان الموضوع عن الفن أو العمارة مثلاً أو أيّ موضوع آخر؛ حيث أن اللغة اللازمة و كيفية استخدامها متعارف عليها. و بالتالي في حالة كهذه لا يوجد التباس، خاصة و أنَّ ما سبق و كتبه الآخرون يفيدُ كمثال يُحتذى به، وكمرجع لنموذج لغة تفاهم.

إنَّ موضوعاً دارجاً لا يشكل معضلة عندما يكون مطروحاً ضمن طريقة تفكير متعارف عليها عموماً.

يظهر الإشكال عندما تكون لدينا معرفة تمّ تلقيها بأسلوبٍ خاص و يُرادُ نقلها والتعبير عنها بأسلوبٍ آخر مختلف جذرياً، و فوق ذلك غاية في المحدودية كالكتابة.

يزدادُ الأمر سوءاً عندما يكون محتوى الموضوع الذي يُرادُ نقله للنشر لا يُنشَرُ أصلاً؛ بل ينتقل من فردٍ إلى آخر بطريق ما، كما ذكر أفلاطون في رسالته السابعة، أو بطرق أخرى أكثر مباشرة و رقيّاً.

لقد قال أفلاطون في رسالته السابعة:

«... لأنَّ هذه المعرفة ليست شيئاً يمكن وضعه في كلمات كما هو الحال بالنسبة للعلوم الأخرى ولكن بعد اتصال طويل و مستمر بين المعلم و الطالب، في سعيٍّ مستمر في الموضوع، يتجلى المعنى في ذهن الطالب فجأة كالنور الذي ينبعث في النار عندما تشتعل، إنَّ هذا النور يتولد في النفس و يغذّي نفسه تلقائياً فيضيء ...».

النقل في حالة كالتي وصفها أفلاطون يتمتّع بفرص كبيرة ليكون دقيقاً و ناجحاً لأن المعلم يختار الطالب القادر بعناية، ثمّ يحضره بشكل متواصل ليرفَعَه لتلقي المعرفة التي ينقلها إليه بالتدريج، و ذلك بما يناسب الحالة الخاصة للطالب.

كلّ هذه الظروف المثالية ليست متوفرة في حالة النشر، إذ إنَّ الأمرَ أشبه ما يكون بإرسال رسول في حضيض بابل لا في برجها.

نظراً لهدف الكتاب و محتواه و قبل أن أمضيَ قدُماً، أجدُ نفسي مضطراً لترجيح إخضاع أسلوب و لغة الكتاب إخضاعاً تاماً لمصلحة الأفكار و المعرفة المنقولة و فلسفتها؛ إنّي اخترت أن أُكيِّفَ الأسلوب باستمرار لمصلحة الفكرة.

أمامَ لغة متغيّرة بهذا الشكل سيكون المرجع الذي يستندُ إليه القارئ، لا الكلمات ولكن الأفكار المطروحة. هذا هو ما ينبغي التركيز عليه دون التعثر باللغة التي تحتاج باستمرار إلى تفهم ذكي و مرن.

تناول الكتاب ينبغي أن يكون شاملاً.

إنَّ قراءة واحدة و مسلكية و نقدية، خطوة بعد خطوة للكتاب غير مناسبة على الإطلاق.

فهو يحتاج إلى قراءاتٍ متعددة و إلى وقفاتٍ لطرح أسئلة **دون الاستعجال لإيجاد الأجوبة.** وقفاتٌ للتفكر و التأمل و ربط المعلومات و استنباط المقصد و محاولة فهم الكلمات والمعلومات لا بالكيفية التي اعتادها الناس بل حسبما أحاول إيصاله. إنَّ مفتاح هذا الفهم هو:

التحرّر من صلابة الفكر الجاهز و المواقف المسبقة.

التحرّر من عادات التفكير الشائع.

النهوض و التحرك في الكتاب بمرونة و ذكاء و حدس صادق.

وإلا بقي الكتاب، و بشكل عجيب، غامضاً غير مفهوم لأنَّ الموضوع الأساسي المطروح فيه هو علمٌ لا يمكن فهمه بشكل كامل إلا عن طريق التعليم الشفهيّ.

ههنا الكتابة ليست سوى محاولة للحفاظ على تراثٍ من جهة، و من جهة أخرى دعوة للرجوع إلى الأصول.

على الرغم من أنني تعلمت في «السوربون» و أَلِفتُ المنهج الأكاديمي في الكتابة فقد وجدْتُه غير مناسب إطلاقاً لموضوع ينتمي إلى تراث مختلف عن تراث الحضارة الغربية.

ولكون ما أودُّ تسجيله هو معرفة تنتسب إلى تراث العارفين المسلمين، وجدتُ نفسي مضطراً لاستخدام أساليبهم من باب الأمانة و الإخلاص لمنهجهم و لنقل الرسالة بالشكل الأمثل. أساليبهم مألوفة بالنسبة لي، و مناسبة تماماً لهدف و فلسفة الموضوع المطروح، ولكنها تثيرُ بعض الإشكالات وقد تكون ممتنعة عن الفهم بالنسبة لقارئ غير معتاد عليها.

تقديم و شرح مثل هذه الكتابة يمكن أن يكون مثالاً لتناول سليم و فهم صحيح لمواضيع كهذه في أيّ مرجع. كذلك يمكن اعتبار ذاك التقديم و الشرح نوعاً من ترجمة و تسجيل لجانبٍ ممّا يُطرح في التلقين الشفهي و خاصة لأهل البدايات من السالكين.

في الحقيقة، إن التعبير بالحكاية و الرمز و الإشارة أحد الأساليب المرهفة في التعبير التي يستخدمها أساتذة الفكر في الشرق الأدنى.

هؤلاء العارفون يَعون تماماً أنّ بعض الأفكار لا يمكن أن تحملَها أو تعبِّرَ عنها بدقة عبارة أو جملة أو حتى مقطع. تلك الأفكار يُعبَّرُ عنها بشكل ضمنيٍّ عن طريق عدة جمل أو مقاطع لا معنى لها إنِ اعتبرتْ مفردة.

الأفكار الأساسية تحلِّقُ فوق الكلمات والجمل والمقاطع التي تُشير وتقترح ولكن لا تُصرِّح.

هؤلاء العارفون يعون تماماً أن الكلمات عاجزة عن حمل ما يريدون إيصاله.

ما يريدون إيصاله هو حال فكريّ و رؤية جلية للحقيقة، لا أفكارٌ صغيرة إلى درجة أنَّ كلمات الحياة اليومية تحويها.

العبرة عندهم في الذي يتلقى العلم. الذي يهمّهم أمره هو اللبيب الذي من الإشارة يفهم. فالجواهر لا تخفى على من يعرف قدرها، لذا لا يسلطون الأضواء عليها ولا يغصبون العوام على أخذها بل يكتفون بالإشارة إليها لمن يليق بها ممّن يرى، وفي ذلك جلّ أسلوبهم.

-5-

تُرى هل تنحصر المعرفة ضمن الخطوط العريضة لعلوم زماننا أم هناك أبعد؟

أبعد؟ بالطبع أول ما يتبادر إلى الأذهان هو مجالات المعرفة العلمية المادية التجريبية، حيث تَعَوَّدنا على تلاحق الاكتشافات التي تزيد سَعَة دائرة و آفاق هذه المعرفة.

أبعد؟ نذكر بحماس أقل، مجال المعرفة الفكري حيث تعودنا على مستجداتٍ من الآراء و النظريات و وجهات النظر. كل جديد يطالعنا نعتبره إضافة إلى ما سبق من محاولاتٍ لتبيان جوانب من الحقيقة.

أبعد؟ بفتور ننظرُ إلى مجال المعرفة الدينية و الشرعية، إذ لا نتوقع أيّ جديد سوى تفصيل أو توضيح أو تنقيح أو تذكير أو إعادة صياغة أو اجترار لما هو أصلاً موجود. وما خلافه يُرفَضُ بوصفه بدعةً أو افتراء.

في الحالات الثلاث هذه، و بحثاً عن آفاق أبعد، لا يخرج تفكيرنا على الأغلب خارج حدود الخطوط العريضة لما هو معلوم لدينا.

هذه النتيجة تحدُّ الإنسان ضمن حدودٍ ضيقة هي مطبٌّ يُؤسَرُ فيه من يُملي عليه غرورُه بالاكتفاء بما علم. وهذا يؤدي إلى تقوقع و تحجّر.

كي يخرجَ الإنسانُ من فخ مطبّ أسر هذه الحلقة المفرغة، لا بدّ له من إعادة نظر ليُذهِبَ عن عينيه غشاوة العادة التي تحجب البصيرة. إعادة نظر باتجاهين تتجلى فيهما الحقيقة: إلى الخارج أي إلى الكون الذي يحيطُ بنا، و إلى الداخل أي إلى أنفسنا.

مشكلة إعادة النظر هذه تكمنُ في حقيقة أنَّ الإنسان لا يرى إلا ما يَعْلم. إذن، لا بدَّ من مصدر خارجيّ غير بشري ليعلمَ كيف تُرى الأمور من منظار غير منظاره. و الحال كذلك، فما أعظمَ قيمة مصدر خارجيّ أتانا من خالق الوجود نفسه![1]

هذه المعرفة ذات المصدر الإلهي تحوي ما صحَّ من مجالات المعرفة الثلاث المذكورة وتتجاوزها **حاوية لكلّ ما يمكن أنْ يُعلَم إذ فيها الأسس و القوانين و الضوابط المطلقة لسائر العلوم**، وهو جُلّ ما يبحث عنه طالب العلم.

(1) طبعاً، للحرّ العاقل أن يشك، فما أكثر من افترى على الله كذباً. أما من يتبصّر في المرجع الذي يصفه منزله بأنه لا ريب فيه فسوف يجد ضمانة الصدق في قوله: ﴿الٓمٓ﴾ تَبَصُّرٌ فيها يوصل إلى أنَّ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾!

هذه المعرفة ذات المصدر الإلهي هي المعرفة المقدَّسة أي المنزَّهة عن أيّ نقص أو عيب أو خلل. و هي المعرفة الحقيقية التي إنِ استغنى عنها العوام فلا غنى للخواص عنها إذ بها تكون الخلافة.

أليست المعرفة الدينية كما هي معلومة لدى الجميع من علوم شرعية هي المعرفة المقدَّسة؟ إنْ تقصيَّنا الحقيقة من خلال المرجع الإلهي الذي لا ريب فيه، فسوف نجدُ أن أبعادَ هذه المعرفة أوسع بكثير مما يُدَرِّسُهُ رجال الدين من كلِّ المِلل.

انطلاقاً من يقين أن القرآن نصٌّ إلهي أحكِمَتْ آياته فإنه لا مجال فيه لنقص أو زيادة أو إفراط أو حشو. كلُّ ما يَرِدُ فيه لا بدَّ منه و لا غنى عنه. انطلاقاً من ذلك، لنا أن نتساءلَ عن المقصدِ و الإشارة وراء الكثير من التفاصيل الممنوحة لنا و التي تتجاوز حاجات التشريع و الوعظ.

هل توجد فروقات في مستوى النص القرآني؟ هل يوجد تباين في الأهمية بين آية وأخرى؟ حاشى لله!

ترى، هل تفاصيل قصة سيدنا سليمان في سورة النمل مثلاً مجرد تفاصيل تلوِّنُ القصة و تزيدها تشويقاً أم ثمة رسالة لأولي الألباب؟ إنَّ الإتيان بالعرش خارقة للعادة في المجال الفيزيائي. الذي قامَ بها كان عنده علمٌ من الكتاب، ترى ما هذا العلم؟ ما هذا العلم الذي كان لدى كل من سيدنا داوود وسيدنا سليمان عليهما السلام؟ كذا الأمر بالنسبة لسيدنا الخضر وسيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهم السلام و سائر الأنبياء ابتداءً من سيدنا آدم الذي ارتبط أول ذكر له في القرآن بالعلم بعد وصفه بالخليفة و ختاماً بسيدنا محمد. نجدُ أنَّ جميع الأنبياء و الرسل يشتركون بعلم إلهي عال يتجاوز حدود الأمور التشريعية. لم يكن هذا العلم وقفاً على الأنبياء بل ثمة مَن ورثهم، منهم من حافظ على الأمانة و منهم من ضلَّ.

إن قبلنا بذلك و اقتنعنا بضرورة تحصيل ذلك العلم المرتبط بالخلافة فلا بدَّ أنْ نتساءلَ عن كيفية الوصول إليه و كيفية تحصيله.

المرجع الأمثل كما رأينا هو القرآن. إنْ بحثنا فيه عن هذه المعرفة فسوف نجدها في قصة عجيبة هي المثال الوحيد لمنهجية تعليم شخص مختار علوماً من المعرفة المقدسة. هذه القصة هي الشاهد الوحيد في القرآن حيث نجدُ عالماً على موعدٍ مرتّب مع عالم آخر يبحث عنه ليتّبعه على أن يعلمه ممّا عُلم رشداً، علمٌ من لدن العليم الحكيم.

ممّا يلفت النظر وممّا يشير إلى فائق أهمية الأمر أنَّ هذه القصة تقعُ حسب عُرفِ القرّاء تماماً في منتصف القرآن، فكما هو متعارف عليه، يبدأ النصف الثاني من القرآن تماماً عند قوله تعالى على لسان سيدنا الخضر لسيدنا موسى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الكهف: 18/ 67]. ممّا يزيد التأكيد، أن أبحر القرآن المفردة ثلاثة وثلاثون، الثلاثة الوسطى منها أي السادس عشر و السابع عشر والثامن عشر تقع في قصة سيدنا موسى والخضر والبحر الأوسط من الثلاثة والثلاثين أي السابع عشر تليه عبارة ﴿عَجَبًا﴾.

ما يزيد أهمية القصة الأحاديث الواردة عنها في الصحيحين حيث نجدُ تفاصيلَ ثمينة لسعينا نحو المعرفة المقدسة. تبدأ جميع هذه الأحاديث بالمسببات التي تجاوزها النص القرآني.

- «قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيباً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ. فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْداً مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ..» [صحيح البخاري: 119].

- «بَيْنَمَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام فِي قَوْمِهِ يُذَكِّرُهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ، وَأَيَّامُ اللهِ نَعْمَاؤُهُ وَبَلَاؤُهُ إِذْ قَالَ: مَا أَعْلَمَ فِي الْأَرْضِ رَجُلاً خَيْراً وَأَعْلَمَ مِنِّي... » [صحيح مسلم: 4386].

- «بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَداً أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ مُوسَى: لَا، فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى: بَلَى عَبْدُنَا خَضِرٌ...» [صحيح البخاري: 72].

وهذا يعيدنا إلى أول الفقرة حيث السؤال عن أبعد في مجال المعرفة. العبرة في الحديث واضحة: تنبيه يحذِّر من خطورة نفي المرء وجود علم خارج الخطوط العريضة وأبعد مما يعلم، فهو بذلك يقطع طريق الخير على نفسه آسراً إياها بنطاق محدود من صنعه لا يلبث إلا ويصير سجناً له يتقوقع فيه و يتحجّر.

أكثر ما يلفت النظر في الحديث الشريف هو تمنّي سيدنا النبي لأحداثٍ انتهت قبله بقرابة ألفاً وثماني مئة سنة أن تجري مجرىً آخرَ؛ حيث قال عليه الصلاة والسلام:

«يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِهِمَ» (صحيح مسلم: 4385).

في هذه الأمنية المستحيلة إشارة كريمة منه ﷺ إلى أنَّ العرض الذي قدّمه سيدنا الخضر عليه السلام كان له تتمة. و اللبيب من الإشارة يفهم، إذ نجدُ في حديث آخر من نفس الباب في صحيح مسلم (باب فضائل الخضر) قوله ﷺ: «رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى مُوسَى لَوْلَا أَنَّهُ عَجَّلَ لَرَأَى الْعَجَبَ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَتْهُ مِنْ صَاحِبِهِ ذَمَامَةٌ، قَالَ: إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً، وَلَوْ صَبَرَ **لَرَأَى العَجَبَ**...» [صحيح مسلم: 4386].

يلفت النظر تكراره «لرأى العجب». ترى أيّ عجب؟

«... ولو صبر لرأى العجب»..........................

مقدمة عامة
للمعرفة المقدسة



﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾

[سورة الكهف: 18/ 54].

«يا بنيّ، إنْ أردت قراءة القرآن فاقرأه و كأنه عليك أنزل».

محمد نور إلى ابنه محمد إقبال

قصة سيدنا موسى والخضر
عليهما السلام

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا (٥٠) ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا (٥١) وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا (٥٢) وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا (٥٣) وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا (٥٤) وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا (٥٥) وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا (٥٦) وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا (٥٧) وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا (٥٨) وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا (٥٩) وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا (٦٢) قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا (٦٣) قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا (٦٤) فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا (٦٥) قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا (٦٧)

وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾.

[سورة الكهف: 18/ 50-78].

وإذ

إن الطريقة التي تبدأ بها قصة سيدنا موسى و الخضر في سورة الكهف لها الوقع المنبِّه الذي يميّز الإشارة.

كان العربُ شديدي الحساسية لأية كلمة عربية ولأيّ استخدام لها.

استخدامهم لـ«إذ» للتعبير عن حدوث أمر في وقت ما، تماثل نوعاً ما «حين». لا تستخدم «إذ» لأمر يحدث ببطء و بالتدريج، بل لأمر بالأحرى مفاجئ، أو للانتقال السريع من حال إلى حال.

«و» هو أكثر حروف العطف استخداماً. استخدام «و» يقتضي العطف بين ما يسبقها و ما يليها.

و بالتالي «و» في أول مقطع لا علاقة له بما سبقه، ومتبوع بـ «إذ» هو استخدام غير عادي لهاتين الكلمتين.

استخدام «وإذ» في القرآن و في بداية مقطع أو رواية هو الأول من نوعه في اللغة العربية حسب علمي.

تبدأ قصة سيدنا موسى و الخضر فجأة بهذه الـ «وإذ» ذات الوقع الخاص واللافت للنظر. و ندخل في القصة مباشرة بلا تمهيدات ولا مقدّمات و كأننا نتابع قصة أو حديثاً قد انقطع. إنَّ سردَ هذه القصة يبدو بلا أيّة علاقة بما سبقها.

في قراءةٍ أولية لسورة الكهف لعلنا نتعجَّبُ لبرهة أمام هذه القفزاتِ الفجائية من موضوع إلى آخر فآخر لا صلة ظاهرية تربط فيما بينها.

ولكنَّ قراءة متأنية للسورة ترينا أنَّ المقطعَ السابق لقصة سيدنا موسى و الخضر هو كذلك يبتدئ بـ «وإذ» بلا مبرر لغوي منطقي حسب منطقنا، و ذلك في الآية (50) في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ ...﴾.

إنْ عدنا إلى الوراء متقصين تلك الـ «وإذ» فسوف ينتهي بنا المطاف في سورة البقرة و بالذات في أول الآية التي يخبرُ الله سبحانه وتعالى الملائكةَ عن مشيئته بجعل خليفة في الأرض:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ [البقرة: 2/ 30].

بعد هذه الآية الكريمة نقرأ الحوار بين الله تعالى و الملائكة و الشهير عند المفسرين وأهل العلم لما فيه من غرابة، و من ثم نقرأ تعليم الله تعالى سيدنا آدم الأسماء كلها، و إنباء آدم الأسماءَ للملائكة، عندها يأتي أمر الله للملائكة بالسجود لآدم و بنفس العبارات تماماً التي وردت في سورة الكهف و خاصة استخدام «وإذ». بعد ذلك نجدُ قصة اعتراض إبليس و إغوائه سيدنا آدم ... بعد ذلك مباشرة يطالعنا مقطع طويل عن بني إسرائيل حيث استخدمت «وإذ» مراراً و خاصة في آياتٍ قُصِدَ منها تذكيرهم بأفعالهم و بماضيهم.

يبدأ هذا المقطع عن بني إسرائيل بقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ ...﴾ [آية 40]، ثم تطالعنا نفس الجملة ثانيةً عند بداية الآية (47)، و كأنَّ في هذا التكرار تأكيدٌ على قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ ...﴾ ثم يستمرّ المقطع عن بني إسرائيل مذكِّراً إياهم ماضيهم في آياتٍ تبدأ بين الحين و الآخر بعبارة «وإذ» عوضاً عن «واذكروا» و كأنها اختزال لها. إنه لمن اللافت للنظر أنَّ الأحرف الثلاثة المكوِّنة لـ«وإذ» هي نفسها الثلاثة الأولى المكونة لقوله تعالى «واذكر» في سورة مريم مثلاً.

وبالتالي هذه الجولة السريعة في تقصّي استخدام «وإذ» في القرآن ترينا أنّها مستخدمة **كإشارة تدعو القارئ إلى التذكُّر**.

هذه النتيجة يؤكدها مصدران مثلاً و ليس حصراً، أحدهما من أعلى مصادر القواعد و الآخر من أعلى مصادر التفسير. فقد قال ابن هشام الأنصاري في كتابه الشهير «مغني اللبيب»: « و الغالب على المذكورة في أوائل القصص في التنزيل أن تكونَ مفعولاً به بتقدير اذكر نحو: وإذ قال ربك..، وإذ قلنا للملائكة..، وإذ فرقنا بكم البحر.. وبعض المعربين يقول في ذلك: إنه ظرف لـ «اذكر» محذوفاً و هذا وهم فاحش لاقتضائه حينئذٍ الأمر بالذكر في ذلك الوقت مع أنّ الأمر للاستقبال، وذلك الأمر قد مضى قبل تعلق الخطاب بمكلفين منا و إنما المراد ذكر الوقت نفسه لا الذكر فيه». و يؤكد كلام ابن هشام الأنصاري ما ورد في معنى «وإذ» في كتاب «الإتقان» للسيوطي.

إنْ كان لقارئ نبيه و فطن للقرآن ذاكرة حادة و واضحة فسوف يربط بالتأكيد ما بين نقاط متشابهة، و بالتالي سوف يتحصّل لديه فهمٌ صحيح لرسالة ما واردة كجزء لا يتجزأ من رسالة كلية هي رسالة القرآن الكريم.

في الحقيقة يجب اعتبار أيّ مقطع في القرآن وفهمه على أنه تعليقٌ و شرح و مثال و نتيجة لما سبقه، و تهييء و تحضير لما بعده.

هذا الأمرُ يُصبح أكثر وضوحاً عندما نعتبر أيّ مقطع من القرآن كجزء في منظومة إشارات وجزءاً من آلية تعمل لخدمة مفهوم محدّد ألا و هو رسالة موجّهة للإنسان، وبالوقت نفسه جزءاً من النظام الكوني الذي يُدعى الإنسانُ للانتماء إليه.

بالتالي هذه الـ «وإذ» ساقتنا إلى وصل المقطع الذي يتحدث عن سيدنا موسى و الخضر بالمقطع الذي قبله المبتدئ بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ...﴾ و ما يلي ذلك مما ذكر عن رفض إبليس و ما ترتّبَ على ذلك من نتائج مأساوية.

في هذه الآيات من سورة الكهف، من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ...﴾ إلى قوله: ﴿...وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ۝٥٣﴾ نجدُ اختزالاً شديداً و إعادة صياغة مكثفة مختزلة و دراماتيكية لموضوع عُرِضَ و بُسِّط بالتفصيل في أماكن عديدة من القرآن؛ حيث يُعرضُ الأمرُ في كلّ مرة حسب المفهوم العام المحيط به و للتأكيد على نقطة معينة.

العلم

«وإذ» دعوة من الله سبحانه وتعالى لتذكّر ما منَّ به علينا من قوله الحق، فلا بدَّ لنا أن نلتزمَ بالاستجابة لدعوة الله سبحانه ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى﴾ فإنَّ الذكرى تنفعُ المؤمنين.

هذه الـ «وإذ» ساقتنا إلى وصل المقطع الذي يتحدّث عن سيدنا موسى و الخضر بالمقطع الذي قبله المبتدئ بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ...﴾ و الذي بدوره يستدعي ما قبله من «وإذ»، إلى أن نصلَ إلى أول «وإذ» في القرآن التي وردت في سورة البقرة و التي تقدِّم لنا أول رواية لقصة سيدنا آدم في القرآن، أي مِنْ حيثُ ابتدأ الأمر بالنسبة لنا. و العلم يقتضي معرفة بداية الأمر لفهم نهايته.

كون هذه الرواية هي الأولى فإنَّ ذلك يسمحُ لنا أن نفترضَ أنَّ التفاصيل المعطاة لنا فيها أهمية خاصة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ...﴾.

لعلّ كل من قرأ القرآن تساءل نفس السؤال: من أين للملائكة أن يعلموا؟ إنّها بالضبط ردّة الفعل الطبيعية المنتظرة من القارئ و خاصة استخدامه في تساؤله لعبارة «يعلموا».

قوله تعالى: ﴿...وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

آخر كلمة هي كلمة «تعلمون» و مصدر الكلمة «عَلِمَ» و منها «عِلـْم» التي تُكتب تماماً كـ «علـّمَ». «علـّمَ» هي بالضبط أول كلمة تبدأ بها الآية التالية؛ إنْ أضفنا تاء إلى «علـّم» أصبحت «تعلـّم»، إنْ حاولنا ترجمة «عَلِمَ» و «علـّمَ» و «عِلـْم» و «تعلَّم» إلى لغة أخرى كالإنكليزية مثلاً فسوف نحتاج إلى أربع كلمات مختلفة و ذات مصادر مختلفة، في حين أننا استخدمنا في اللغة العربية أصلاً واحداً (عَلِمَ) لم يغب أيّ من أحرفه الثلاثة في أيّ اشتقاق (و هذا ما لا ندرك قيمته و أبعاده لشدة اعتيادنا). و بالتالي ما هو تأكيدٌ جليٌّ على كلمة ذات دلالة عالية في النص القرآني يتلاشى في أيّ ترجمة.

(الآية 30) ﴿...لَا تَعْلَمُونَ﴾، ﴿وَعَلَّمَ ...﴾ [الآية: 31].

التأكيد هنا في هذه الآيات و بجلاء على العلم. و قد تمّ التقديم لهذا الأمر بآخر كلمة من المقطع الذي يسبق أول «وإذ» في قوله تعالى:

(الآية 29) ﴿... وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، (الآية 30) ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ...﴾.

سورة البقرة (آية 30): ﴿وَإِذْ

قَالَ ...﴾

أما ينبغي أن نراجع مفهومنا لكلمة قال عندما تتعلق به تعالى؟

مفهومنا عن أيّة كلمة هو حصيلة تجاربنا معها و ما يتأتى عن ذلك من مشاعر و تصورات وانطباعات و تداعيات و ذكريات ترتبط بها. هل يمكن إسقاط هذا المفهوم العام و الدنيوي عليه سبحانه؟ أم يجب رفع مفهومنا و تصوّرنا عن الكلمة إلى أقصى ما يمكن في سعي للاقتراب من المعنى و كخطوة في طريق العلم، و خوفاً من قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾؟

سورة البقرة (آية 30) ﴿وَإِذْ

قَالَ رَبُّكَ ...﴾

لِـمَ ربك؟ لِـمَ لَـمْ تردْ «قال الله»، أو «قال الخالق»، أو «قال رب العالمين»؟ لِـمَ كانت أول آية أنزلت على النبيّ ﷺ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ...﴾، و لم تكن «اقرأ **بسم** الله»؟ إنّه سؤالٌ مُبرِّرُ طرحِهِ وقوفنا أمام نصٍّ أحكَمَ آياتِه و كلماته، لا أديبٌ بارع أو مفكرٌ حاذق، وإنما خالق الكون و مبدع الموجودات، نصٌّ جَعل فيه رسالة لإخراجنا من الظلمات إلى النور.

سورة البقرة (آية 30) ﴿وَإِذْ

قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ...﴾.

هل هذا مجرد إحاطة علم مجانية أو تداولٌ للأمر معهم، أم أنه تبليغ وراءَه هدفٌ مرسوم وتوكيل بمهام محددة تجاه ذلك المخلوق؟ كما يُستدَّل من أمره تعالى للملائكة بالسجود لآدم.

سورة البقرة (آية 30) ﴿وَإِذْ

قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ ...﴾.

لم يقلْ تعالى: «إني خالق».

سورة البقرة (آية 30) ﴿وَإِذْ

قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ ...﴾.

«في الأرض» و هي تفصيلة جوهرية نادراً ما نقفُ عندها إذ تتخطّف انتباهنا تتمة الآية. في هذه الكلمة يكمن الفرق الجوهري بين القرآن و المنشور من كتاب أهل الكتاب (أي العهد القديم

والجديد). هذا الفارق نقطة أساسية إذ عليها مثلاً تمحورت العقيدة المسيحية: الخطيئة الأولى التي لا مخرج منها إلا عن طريق المسيح. فالفكرة كما هي مذكورة في الصفحات الأولى من سفر التكوين تتلخص فيما يلي: أنَّ الربّ بعد إذ خلق الخلق كلهم خلق آدم وجعل له زوجاً و جعلهما في جنة عدن و أمرهما ألا يأكلا من الشجرة، و جاء الشيطان فأغوى آدم عن طريق زوجه و كانت الخطيئة. الانطباع الذي تتركه الرواية التوراتية هو أنَّ الربّ عوكس بخطيئة آدم، وأنَّ الشيطان بحيلته و مكره أفسدَ كلَّ شيء و غيّرَ مجرى الأحداث وخرَّب الخطة السعيدة التي رسمها الربّ. يُستنتجُ من ذلك أنَّ الشيطان كان أقوى من الربّ! (سبحانه). يؤكِّد ذلك، الكلام العجيب الذي وَرَدَ في الطوفان و أنَّ سببه رؤية الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض فقرر أن يمحو الإنسان عن وجه الأرض، وكما وردَ بصريح العبارة في النص حزن على فعلته هذه[1]! (سبحانه وتعالى عما يصفون).

الآية (30) من سورة البقرة تقدِّمُ تصوّراً مختلفاً جذرياً متجاوزاً الإشكال أعلاه، إذ إنَّ أول تعرّض لموضوع آدم لم يكن «إني جاعل في الجنة ...»، بل «إني جاعل في الأرض ...» هذا يعني أن وجود آدم على الأرض أمر مرسوم منذ البداية و ليس ناتجاً عن ظرفٍ طارئ.

«في الأرض» لِمَ في الأرض و ليس في مكان آخر من أرجاء هذا الكون الفسيح؟ لحكمة ارتآها خالق الأرض الذي هو أعلم بما هي. لعلّه بالإمكان أن يتراءى لنا جانبٌ بسيط من هذه الحكمة إنْ فكرنا فيما للأرض من خصائص أساسية.

إنْ تجرَّدنا عن حجاب العادة الذي يعمي البصيرة، فسوف نرى أنَّ أكثر ما يميّز الأرض هو الضُّر. فلننظر إلى أي شيء يُترك عليها، أيّ مخلوق مهما كان جماله بالنسبة لنا، إنْ سَلِمَ من المؤذيات و الآفات التي تكاد لا تُحصى، لا يلبث إلا و أنْ يموتَ و يتحول إلى جيفة مرعبة مقززة. أرضٌ نجدُ في أرجائها من الأذى و الضر ما لا تكاد تُحصى موارده و أسبابه. لا يصمدُ فيها شيء إلا و يخرب و يفنى حتى الصخر الجلمود. هل جاء نبيٌّ أو وليّ أو رجل من رجال الله إلا و أصابه من الأذى ما لا يقدر عليه إلا الصابرون؟ ما من نبيّ جاء بالبينات و ربّى حوله من

(1) أصحاح 6 من سفر التكوين.
5 وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ.
6 فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ.
7 فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ».

الصالحين، إلا و خلفهم رجالٌ انحدروا إلى الدرك الأسفل. حتى و بعد عودة سيدنا عيسى عليه السلام و ما يصحبه من صلاح مؤقت تُقبض أنفسُ الصالحين و لا يبقى على الأرض إلا شرُّ البرية، ولا تقوم الساعة إلا على الهرج و المرج و على شرار الناس و أكثرهم ضلالاً و انحداراً وفساداً. هل صفة الضر هذه، و المرتبطة بالأرض، ناتجة عن خلل في الخلق أم أنّها مطابقة لإرادة المهيمن جلّ جلاله ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: 99/ 5] ، ولحكمة العليم الحكيم وكتجل لأحد أسمائه جل جلاله؟

هل كانت خاصية الضر هذه المرتبطة بالأرض خافية عن الملائكة عليهم السلام؟ الآية الكريمة تدلُّ أنهم كانوا على علم بها و هذا ما عساه يفسّر حيرتهم.

لنتصوّر مثلاً: (و حاشى لله و سبحانه و تعالى عن التشبيه)، لنتصور ملكاً لديه رعايا يريد أن يختارَ بعضاً منهم لمنزلة ما، و كونه حكماً و عدلاً يريد أن تكون للمختارين منهم حجة تثبت أهليتهم. تكون بنفس الوقت على غير المؤهلين حجة دامغة تثبت عدم أهليتهم. فأنبأ الملكُ حاشيته المطيعين أنّه سوف يرسلُ أولئك الرعايا إلى مدينة، فسادُ أجوائها و موقعها و مأكلها جعلها بؤرة عُنفٍ و فساد و سفك دماء. فأخذتهم الحيرة و سألوه أما رأيتَ غير هذه المدينة ترسلهم إليها أم تريد أن يصيروا شراً من أهلها فساداً تأثراً بجوّها الموبوء؟ (ولله المثل الأعلى جلّ وعلا سبحانه ما هي إلا محاولة متعثرة للتقريب).

لنا أن نتصورَ مدى نبل و رقيّ ذلك الذي يصمدُ أمام هذا التأثير السلبي و يخرجُ منه ولم يهبطْ بل و قد ارتقى. هذا يعطي معنىً لتجربة الحياة الدنيا و ما يصيب العبدَ فيها ممّا يصيب من امتحاناتٍ تُظهرُ معدن الشخص و خفايا نفسِه و حقيقة أمره. ﴿... لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ [الزلزلة: 99/ 6].

هذا يدلّ أيضاً على سذاجة و جهل الذي يحلم بصنع جنة يخلدُ فيها إلى الأرض و هي دار فسادٍ و فناء. أما ظهَرَ الفساد في البر و البحر؟

هذا جهلٌ و سذاجة و محدودية رؤية من يتخذ مستقراً له في دار عبور و لا يعلم ما المركب الذي هو فيه، و لِمَ هو فيه، و إلى أين هو ذاهبٌ به؟.

كيف يحق لمن لا يلتفت إلى هذا الأساس أنْ يدّعيَ بناءَ علم؟

سورة البقرة آية (30): ﴿وَإِذۡ

قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ...﴾.

آدم والعلم

كونُ ما بين أيدينا هي أول رواية لقصة سيدنا آدم في القرآن و كوننا قد قرأنا عن مشيئته تعالى في جعله خليفة على الأرض، يمكننا أن نتوقع، و لعله بشيء من السذاجة، أن يُتلى علينا شيء من خلق آدم من تراب (طين).

الحال ليس كذلك.

في هذه الرواية الأولى عن آدم لم يُذكر شيء من هذا القبيل.

معنى ذلك أن هذه النقطة (خلق آدم من طين) ثانوية بالنسبة للنقطة الأساسية و التي مُنِحتْ لها الأولوية و هي العلم.

﴿...لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾، ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ... ﴿٣١﴾﴾.

إنَّ ما يلفت الانتباه بقوة هو انتهاء الآية (30) بالجهل و ابتداء الآية (31) بالتعليم. ليس تعليم الملائكة بل سيدنا آدم. آدم الذي يظهرُ اسمه لأول مرة في القرآن، و اسم آدم متبوعٌ مباشرة بكلمة الأسماء. ما هو المقصود بالأسماء كلها يبقى لغزاً، على الرغم من محاولة جميع المفسرين تفسير هذه العبارة (بعضهم لم يُدرك حتى أنها لغز). فقط الذين آتاهم الله رحمة من عنده و علمهم من لدنه علماً هم الذين يعلمون ما المقصود من الأسماء كلها.

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة: 2/ 31-33].

﴿...عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ...أَعْلَمُ ...لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ... ﴿٣١﴾ ..لَا عِلْمَ ... عَلَّمْتَنَآ .. ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٢﴾ ... أَعْلَمُ ... وَأَعْلَمُ ... ﴿٣٣﴾﴾.

الكلمات المبنيّة على المصدر «علم» وردت و بطريقة لافتة للنظر 9 مرات في الآيات الـ 5 : (29، 30، 31، 32، 33). عملية بسيطة على المعلومة الواردة في هذه الإشارة جزء من الخطوات التي يُفهم من خلالها الضمير الوارد في قوله تعالى:

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ ...﴿٣١﴾﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

نجدُ في القرآن الكريم 5 مرات نفس الجملة و بنفس العبارات تماماً:

﴿... قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ ...﴾.

البقرة (34)، الإسراء (61)، الكهف (50)، طه (116)، الأعراف (11).

4 مرات ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾، 1 مرة ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾، 4+1 = 5. و هي إشارة بديعة.

نفس الأمر الإلهي بالسجود لآدم ورد 2 مرة أخريين و لكن بصيغة مختلفة و ذلك في قوله تعالى: ﴿...فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ في كلٍّ من سورتي الحجر (29)، و ص (72) نجد تماماً العبارة نفسها ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

لم يقلِ الله تعالى في الآيتين السابقتين **لآدم** بل **له**، و الهاء ضمير عائد ليس على آدم بل على بشر (المقصود، طبعاً آدم). هذا يعني:

7 مرات = 5 مرات سجود لآدم اسماً و 2 مرة سجود له (بشر). 5+2 = 7. إنها إشارة عظيمة.

إنَّ ما يهمنا الآن هو أنَّ الأمرَ الإلهي بالسجود لآدم ذِكِرَ في سورة البقرة مباشرة بعد آيات علم الأسماء، أي بعد تعليم الله تعالى آدمَ الأسماء كلها، و نجدُ الأمرَ بالسجود لآدم في السور الأخرى بعد نفخ الله تعالى الروح في آدم، كما ورد في سورة الحجر (آية 29) وسورة ص (آية 72)، و المتطابقتان لفظاً و معنىً.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

و بالتالي، أمرُ السجود لآدم بشراً، أتى بعدَ نفخ الروح الإلهية فيه و تعليمه العلم الإلهي المتمثِّل بعلم الأسماء.

هل ينبغي عليّ أنْ أصِرَّ أكثر من ذلك على هذه النقطة؟ الروح والعلم؛ الممنوحين لآدم بشراً.

إبليس و الجهل

امتثلت الملائكة لأمر الله تعالى و بنفس اللحظة عصى إبليس الأمرَ الإلهي بالسجود لآدم ـ بشر، الممنوح روحاً من الله تعالى و علماً متمثلاً بعلم الأسماء.

في كلّ واحدة من هذه الروايات الـ 7 من قصة آدم نجد أنَّ الكلمات التي تلي اسم إبليس تتغيَّر؛ و ذلك لتؤكدَ جانباً من طبيعته الشيطانية و ذلك فيما يتوافق مع المقصد من كلّ واحد من هذه المقاطع و المفهوم العام المحيط بها.

كون لدينا عدة آياتٍ مختلفة تدور حول موضوع واحد فإنَّ ذلك يدعونا إلى المقارنة بينها.

لعلَّ أصحَّ و أبسطَ أسلوبٍ أوليّ لتناول هذه المعلومات هو جمع النقاط المتشابهة و المقارنة بين النقاط المختلفة.

لا يمكن فهم موضوع إلا بمعرفة بدايته و أساسه. و بالتالي، إنها ردة فعل صحيحة و طبيعية من قِبَل إنسان يتساءل عن أصله، عن وجوده، وعن مصيره، أنْ يسألَ كيف بدأت الدراما الإنسانية. إنها أحد أعظم الأسئلة التي طالما طرحها الإنسان.

المعلومات الضرورية للجواب عن ذلك السؤال ممنوحة في القرآن مع تأكيد أنَّ إبليس هو العدو الأساسي للإنسان.

هذه المعلومات تُعلِّم الإنسانَ كذلك كيف يحمي نفسه.

إنَّ أفضل طريقة يحمي بها المرءُ نفسَهُ من عدوّه هي أن يعرفَ طبيعة ذلك العدو، أهدافه، وسبله وأساليبه.

جميع الآيات الـ 7 المذكورة سابقاً تشترك بنقطة، ألا و هي أنَّ الله جلَّ جلاله أمرَ الملائكة بالسجود لسيدنا آدم فسجدوا إلا إبليس.

في جميع الآيات الـ 7 المذكورة يستثنى إبليس من الملائكة.

الآيتان (30-31) من سورة الحجر و الآيتان (73-74) من سورة ص تبدو و كأنها تؤكِّد هذه الفكرة:

﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: 15/ 30-31].

كون الأمر موجهٌ إلى الملائكة و كون إبليس قد عصى الله فإنَّ ذلك يقودُ القارئَ في أول ردة فعل، أنْ يستنتج أنَّ إبليس كان ملكاً قبل الأمر الإلهي.

الـ 7–1= 6 آيات تقودُ إلى قناعة كهذه و لكن لا توجد من بين هذه الآيات الـ6 آية واضحة و صريحة (spécifique) فيما يخصُّ طبيعة إبليس.

الآية السابعة واضحة و صريحة. في سورة الكهف (آية 50) نقرأ التأكيد الواضح و الصريح بأنَّ إبليس كان من الجن.

كون لدينا 6 آيات تقودنا (و ذلك حسب التأثير التوراتي) إلى أنَّ إبليس كان ملكاً، وكون لدينا آية سابعة تنصّ بصراحة و وضوح أنَّ إبليس كان من الجنّ؛ فإن ذلك التناقض يجبرنا على التوقف و التفكير في الأمر.

أخذ الـ 6 آيات على اعتبارها الغالبة و تجاهل السابعة على اعتبارها الأقلية و الثانوية في نص كالقرآن هو تفاهة و منافاة للعقل.

على الرغم من أنها تفاهة و منافاة للعقل فإن البعض يتبنّى هذا الاختيار.

السبب هو أنهم يقعون في الفخ عندما يلبسون إبليس بالملائكة في كلٍّ من الآيات الـ 6.

سبب هذا الالتباس هو أنهم بحثوا عن المعلومة اللازمة في المكان الخاطئ.

لهذه الآيات الـ 6 أغراضٌ و أهدافٌ مختلفة و لكنها غير معنية بمعلوماتٍ صريحة عن أصل إبليس.

في مواجهة مشكلة الـ 7 آيات، كان الحلّ بالنسبة لهم اعتبار الـ 6 آيات التي ليس فيها ذكرٌ صريح عن طبيعة إبليس مرجعاً! و جعل الآية السابعة (الصريحة و الواضحة!) يُطابق معناها مع معنى الـ 6 الأخَرْ.

بناءً على تفسيرهم، إبليس لم يكن جناً بل صار جناً.

لـ «كان» استخدام و معنى ثانوي حيث تُستخدم بمعنى صار.

حججهم موجودة ضمن الـ 7 آيات نفسها حيث تأخذ «كان» معنى «صار».

«كان» في الماضي لا يمكن أن تعني «صار» في حالة تغيّر جذري في الأصل و الطبيعة.

متى صار إبليس من الجن؟

بناءً على آرائهم بعد إذ عصى أمرَ ربّه، لُعِنَ و سقط من مرتبة الطبيعة الملائكية إلى الطبيعة الشيطانية فكان الأول من جنس الجن.

المعروف أنَّ الملائكة مخلوقة من النور. إبليس نفسه صرّحَ أنّه خُلِقَ من نار :

﴿قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص: 38/ 76].

لعلهم يعترضون أنّ لا شيء يُثبت أنّ جميع الملائكة خُلِقَت حصراً من النور.

بالنسبة لهم إبليس كان ملكاً نارياً.

إنّ قراءة صحيحة لمعلومة واردة في القرآن تتطلب المقارنة بين المعلومات الأخرى ذات الموضوع المشابه.

كون لدينا 5+2= 7 آيات فإنّ ذلك يجعل المقارنة أسهل.

الـ 7−5= 2 آية (سورة الحجر، سورة ص) لشديدتا التشابه.

في سورة ص يصرّح إبليس أنه خلق من نار. الآيات التي أتت تماماً قبل الآية (29) من سورة الحجر تعطينا تفصيلاً معبراً فيه تأكيدٌ و جوابٌ سابق لسؤال متوقع فيما يتعلق بالإشكال الخاص بأصل إبليس:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٦﴾

﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ...۝٢٨﴾

(التقابل بين الإنسان و الجن جليّ، جن = نار+هواء ؛ إنسان = تراب+ماء).

بما أنه لدينا التفصيل السابق مباشرة قبل أحد: 5+2= 7 الآيات المدروسة، و لدينا آية يقارن فيها إبليس أصله الناري بأصل الإنسان الترابي، وكون لدينا آية صريحة وواضحة تنبئنا عن أصل إبليس (سورة الكهف آية 50) و عدم وجود أيّ إشارة أخرى صريحة فيما يخصّ طبيعة إبليس؛ فإن رأياً يعلنُ أن إبليس لُعِنَ و كان عقابه أن يقعَ من منزلة الملائكة إلى منزلة الجن هو رأي غير مقبول.

سورة الكهف (آية 50): ﴿... إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ...﴾. هذه الآية تنصّ بوضوح أنّ إبليس كان من الجن قبل الأمر الإلهي. الآيات الأخرى تنص أنّ الجن خلقوا من نار قبل خليقة آدم. و بالتالي لا مجال للالتباس بين الملائكة و إبليس.

لقد كان سيدي الحسن البصري جازماً فيما يتعلق بهذا الأمر عندما قال: لم يكنْ إبليس قط من الملائكة و لا حتى لطرفة عين (راجع تفسير ابن كثير).

تبقى مشكلة: الأمر الإلهي بالسجود لآدم كان موجهاً إلى الملائكة، إبليس كان من الجن، بالتالي لم يكنْ مكلفاً بالأمر، كيف له أن يمتثلَ لأمر ليس موجهاً له؟

الجواب يكمن في حقيقة بسيطة واضحة و جلية بالنسبة لأيّ شخص اعتاد الآداب الكونية القديمة و التي لها قوة الإلزام:

في ظرفٍ يجتمع فيه أفرادٌ من مستوياتٍ مختلفة، إنْ أبدى الأعلى مقاماً تصرفاً فيه خضوع و مبالغة في الاحترام تجاه شخص ما، فإن الأدنى مقاماً ينبغي عليه بضرورة الأدب أن يبديَ على الأقل نفس الموقف. كون الأمر الإلهي موجه للملائكة و هم أعلى مقاماً فبضرورة ما سبق ينبغي أن يتبع من قبل جميع من حضر و سمع، و إبليس من بينهم.

هل الحقائق المعروضة سابقاً غير واضحة في القرآن؟ ... إطلاقاً.

غير الواضح هو عقل ذاك الذي لا يرى هذه الحقائق الواضحة.

في الحالة السابقة التي استعرضناها تعاملنا مع 7 عناصر من المعرفة. كونها 5+2= 7 فهذه إشارة يمكن فهمها بعمق من خلال علم الرقم، و لكنَّ تناولاً للمعلومات بهذه الطريقة أعلى من مستوى هذه المقدمة.

إنَّ تناولاً و دراسة دقيقة لـ 5+2= 7 عناصر و بناءً على المثال القادم هو أمرٌ معقد.

في مثال مبسّط لتناول أوليّ لمعلومة كهذه، لنبسطَ هذه الـ 5+2= 7 عناصر إلى 7. فنعتبرها 7 نقاط على دائرة. سوف تشكلُ مضلعاً مسبعاً أو نجمة سباعية.

يمكننا أن نتم حركة متواصلة على ذلك المضلع المسبع أو النجوم المسبعة التي تمر على كلٍّ من النقاط السبع و لكن بشرط؛ يجب أن تتم الحركة بناءً على زوايا تنتمي إلى 7/ 360. في حركة كهذه نحصل على مضلع مسبع كامل أو نجمة مسبعة كاملة. إنْ تجاهلنا أيّة نقطة من هذه الـ 7 النقاط الموزعة على الدائرة و اعتبرنا أنه لدينا 7−1= 6 نقاط و تحركنا انطلاقاً من نقطة معينة بناءً على زوايا تنتمي إلى 6/ 360 سيكون الشكل الحاصل مضلعاً أو نجماً سداسياً و لن يتطابق مع ايٍّ من الـ 7−1= 6 نقاط السابقة للمسبع الموجودة على الدائرة. (في المثال إشارة لطيفة).

بهذه الطريقة يجب أن يكون التناول الدقيق للقرآن.

لقد رأينا كيف أنّ اعتبار 6 عناصر و إهمال السابع يوصلُ إلى نتيجة مغلوطة. يمكننا أن نستنتج ممّا سبق أنَّ أحد أهداف القرآن ليس فقط تقديمُ عناصر نقيّة من المعرفة بل كذلك تعليمنا كيفية التعامل مع هذه العناصر.

في الحالة السابقة، حالة الـ 7 آيات، المعلومات التي احتجنا إليها في القرآن لم تكن مقَدَّمة لنا مرة واحدة و دفعة واحدة في مقطع واحد بل بطرق مختلفة و في أماكن مختلفة.

إنّها لردة فعل طبيعية أن نتساءلَ عن الهدف في خيار كهذا.

عُبِّرَ عن الهدف الأساسي للقرآن بطرق مختلفة:

الهدف هو إخراج الإنسان من الظلمات إلى النور، النور يتجلى في المعرفة.

رسالة القرآن لا تنحصرُ فقط بإعطاء عناصر نظرية من المعرفة، هذا لا يكفي لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور، لقد أوتينا في القرآن طريقةَ و آلية أو منهجية التعامل مع هذه العناصر. لو أنَّ منهجية التعامل مع عناصر المعرفة معبَّرٌ عنها نصاً، فإنَّ ذلك لن يكونَ سوى إضافة جديدة لعناصر نظرية من المعرفة إلى السابقة.

طريقة التعامل مع عناصر المعرفة مُنِحَتْ بطريقة تجعلُ القارئ يتفاعل مع الآلية وهو يكتشفها.

الطريقة التي تُقدَّمُ فيها المعلومات في القرآن الكريم تُجبِرُ القارئ أنْ يبذلَ جهداً ليفهم. إنها تجبرهُ على جمع معلوماتٍ مختلفة، على المقارنة بينها، على القيام بتحليل صحيح، و أخيراً على القيام بتأليف و تركيب نتيجة صحيحة (Synthèse). النص القرآني يرفع مستوى تفكير القارئ من خَدَر تفكير الحياة اليومية إلى مستوى التفكير الكوني. لا ينحدرُ النص أبداً إلى مستوى قارئ مظلم.

في حالة: 7 آيات السابقة، لم تُمنَح المعلومات التي نحتاجها في القرآن في مكان واحد و دفعة واحدة، ولكن بطرق مختلفة و في أماكن مختلفة و بالإضافة إلى ذلك (كما رأينا) بطريقة قد تُثيرُ الإشكال و الالتباس في حالة أن القارئ غير منتبه.

هذه الطريقة هي أفضلُ ما يكون لإيقاظ قارئ القرآن من سبات التفكير اليوميّ و تنبيهه، و لدفعهِ للتفاعل مع الموضوع، و ذلك بهدف إنارة و تمرين ذهنه و رفع كفاءاته فتصبح لديه قدرة على رؤية واضحة ما أحوَجَهُ إليها ليرى بوضوح عدواً ضبابياً مخادعاً و ملبساً.

لا بد لي قبلَ أن أتابعَ ما نحن بصددهِ، أنْ أؤكدَ أنَّ لا شيء في القرآن الكريم يشيرُ إلى أنَّ إبليسَ كان مخلوقاً متفوِّقاً في علمه أو ذكائهِ أو شخصيته أو مكانته؛ بل إنَّ كل شيء يؤكِّدُ العكس تماماً كما يبدو ذلك في أيِّ استقراءٍ سليم و موضوعيٍّ للنص الكريم. هل يعني هذا ألا ننتبهَ لذلك العدو الذي كان كيدُهُ ضعيفاً و الذي تشهد حماقاتُهُ على ماهيته؟ بالعكس، فالخزيُ كلّ الخزي أن يقعَ المرءُ في حبائل عدو كهذا.

﴿...إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ...﴾ [الكهف: 18/ 50].

لم يمتثلْ إبليسُ للأمر الإلهي ﴿...أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ...﴾ [البقرة: 2/ 34]. في هذه اللحظة يكمنُ أصلُ البلاء كله، لذا فهي تستدعي وقفة تأمل و تفكير.

كي نفهمَ آلية ما حدث في هذه اللحظة، لا بدَّ لنا أن نحللَ الحدثَ و نفككه إلى مكوّناته منطلقين ممّا يلي:

* لا تتحرك النفس (فيشعر بها صاحبها) طالما تسيرُ الأمورُ وفقَ ما أَلِفَتْهُ أو ما تطلبه.

* يشعرُ المرءُ بنفسه و بقوة عندما تعاكَسُ إرادتُهُ أو يُطلَبُ منه أمرٌ لم يكنْ ببالِهِ فيضطرّ لتغيير ما هو عليه. هذا يستدعي استجماع همَّته و عقد عزمه للقيام بما استجدّ. و لا يتم ذلك إلا بجمع

شتات النفس، فتصبح النفس من جهة و الأمر من جهة أخرى في مواجهة هي سبب في احتداد الشعور بالنفس.

سَمِعَ إبليسُ الأمرَ بالسجود فتفاعلتْ نفسُهُ حسب الآلية المذكورة أعلاه فتحركتْ وتجمعت، إذ وُجِدَتْ أمام أمر ينبغي القيام به، فصارت نفسه من جهة و الأمر بالسجود لآدم من جهة أخرى.

لنوقف سير الأحداث عند هذه اللحظة بين صدور الأمر بالسجود و عصيان إبليس، إذ في هذه اللحظة بيت الداء.

ما الذي حدث؟

كونُ الأمر خارجاً عن مألوف إبليس وتوجُّهاته، ومقبوله، عملت الآلية المذكورة أعلاه في نفس إبليس إلى أبعدِ حدّ، فكانت النتيجة استقطاباً و تركيزاً شديدين: نفسه من جهة و سجوده لآدم من جهة أخرى.

شدّة هذا التقابل جعل حسّ إبليس بنفسه على أشدِّه.

هنا تماماً نقفُ عند أهمّ نقطة، عند مفترق طرق:

من جهة، ذكر الله أو بعبارة أخرى الإحساس بوجود الله و ما يقتضيه ذلك من معان، و من جهة أخرى الإحساس بالنفس.

أما إبليس فقد غابَ حسّه بالله و طغى عليه حسّه بنفسه. ما كان ذلك ليحدثَ لو لم يكن حسّه بالله ضعيفاً وَهِناً أمام قوة حسّه بنفسه.

من هنا بدأ السقوط:

إذ استأثرَ حسُّ إبليس بنفسهِ عليه و طغى على رؤيتهِ و على محاكمتهِ،

فأعمى بصيرته و حجبه تماماً عن نور الحقيقة فحرمَ نفسه من المرجع الحقّ و جعلَ نفسه هي المرجع،

فصارَ ينظرُ إلى الأمر و يحاكمه من خلال نفسهِ و معطياتها،

فاستنتجَ ما يوافقُ نفسَهُ و يرضيها.

(ألا ينبغي أن نعتبر؟)

إنْ نظرنا الآن إلى ما تكرّمَ الله تعالى به علينا من خبر إبليس و سؤاله تعالى عن سبب عصيانه، فسوف نجدُ في جواب إبليس ما سبقَ و عرضناه أعلاه واضحاً:

أول كلمة خرجت من إبليس جواباً عن سؤاله تعالى كانت: ﴿أَنَاْ﴾، لقد قدّمَ نفسه على كلّ شيء، إذ ابتدأ مقولته بـ ﴿أَنَاْ ...﴾، و هو ما سبق و ذكرناه عن شدة التفاته إلى نفسه المستأثرة عليه. ثم يتابع فيما استأثر على اهتمامه و لا يخرج عن موضوع نفسه بل يغوص فيه معظماً إياها: ﴿أَنَاْ خَيْرٌ...﴾ و يستكبر الاعتراف بغريمه ليذكر اسمه المقرون بالأمر بالسجود فيقول متجاهلاً ﴿...مِّنْهُ...﴾ ثم يعود مباشرة لنفسه مقدِّماً حجة ليست سوى حجة عليه:

إذ أيّ حجاب و أيّ عُمي هذا أن يتطاول على خالقه و هو يعترف به خالقاً له! ﴿...خَلَقْتَنِي ..﴾.

و أيّ حماقة هذه أن يقدّمَ حجة يريد أن يبيّن بها لخالقه أنّه أخطأ في أمره سبحانه ! إذ فحوى حجته و كأنه يريد أن ينبه خالق النار و الطين: «كيف غاب عنك فضل النار على الطين؟». في هذه الحجة يتجسّدُ جهلُ إبليس:

- إذ إنَّ ظنه بالله العليم، والذي أحاط بكلّ شيء علماً ظنٌّ خاطئ حيث اعتبر نفسه أعلم وأدرى من خالقه العليم لينبهَهُ إلى ما غفل عنه سبحانه!

- كفرَ بأنَّ الله حكمٌ حكيمٌ عدلٌ مقسط و حق إذ إنَّ اعتراضه يعني أن يجعل أمر السجود فيه ظلم و جور.

- لم يجعل الحقيقة معياراً في حجته بل جعل نفسه المعيار و المرجع، و تكاد هذه الحجة تنطلي على الغافلين إذ لا فضل للنار على الطين. النار و الطين في الحقيقة سواء، كلّ مِنْ خَلق الخالق جلّ جلاله، جعل فيهما من آياته و أسراره ما شاء سبحانه.

(ألا ينبغي أن نعتبر؟)

إنَّ ما دفع إبليس إلى التشبّث برفضه، و الملائكة ساجدون، هو انغماسه في ظلمات نفسه و مطالبها:

إذ أنّ عدم سجوده و الملائكة ساجدون يعني حسب منظاره و منطقه: تميّزه، و بالتالي تفوقه و بالتالي علو مكانته عليهم، و هم أصحابُ المكانة العالية، فيصير من أعلى العالين في طرفة عين؛ و هذا ما تتوق إليه نفسه لتتخلص من أية سلطة عليها. لعل هذه السلطة هي التي تكمنُ فيها عقدة إبليس، إذ للملائكة على الجنّ سلطة و قهر.

لقد غابَ عن إبليس أنّ قدرة أيّ مخلوق لا تكون إلا من الخالق و لا تسري إلا حسب مشيئته سبحانه، فكان دافع طموح إبليس و رغبته بالتفوق على الملائكة كامناً في الخوف من غير الله تعالى. خوفٌ من الشعور بالنقص تجاه مخلوق متفوق. خوفٌ من سلطته وخوفٌ من الحاجة إليه.

(ألا ينبغي أن نعتبر؟)

لقد استخدم إبليس هذا الشعور بالنقص و أرادَ إسقاط هذه العقدة ذاتها على غريمه آدم وزوجه.

كان «تكتيكه» أنْ:

ج ـ يحرّك عندهما شعوراً بالنقص يثيرُ حاجة للزيادة قوتها كافية لارتكاب المعصية.

ب ـ كي يتمَّ ذلك لا بدّ من إزالة الرادع و ذلك عن طريق زعزعة وإضعاف الإيمان بالله الذي منه تستمدّ البصيرة أنوارها.

آ ـ لينجحَ في ذلك كان لا بدّ من تحويل أنظارهما و اهتمامهما إلى نفسيهما فتحجبهما عن الحقيقة.

آ ـ ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ...﴾ [الأعراف: 7/ 22].

وقد تمّ ذلك تدريجياً إذ ابتدأ إبليس بتحريك إحساس آدم بنفسه: ﴿...يَـٰٓـَٔادَمُ ...﴾، وهي المرة الوحيدة التي يتنازل فيها إبليس و يذكر اسم غريمه و ذلك لإيقاعه في حجب الأنا. النتيجة كانت إحساس آدم بنفسه و التفاته إلى مناديه. بذلك يكون قد تهيأ لبقية الاستدراج الذي كان من خلال استثارة ما فطر عليه الإنسان من حبّ للخير شديد: ﴿... هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: 20/ 115].

لم يفرض إبليس شيئاً على آدم إنما أحدث في نفسه فجوة من خلال سؤال له جوابان ممكنان. «نعم» و هو بالطبع المتوقع.

استأثرت فكرة شجرة الخلد على مخيلة آدم و طغى طلبها على نفسه إلى درجة أنّ التراجع

عن هذا الدافع و هذا الطلب أمام الحقيقة يصبح صعباً إذ يقتضي ذلك عزماً للرجوع عن مطلب النفس إلى طاعة الله. ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: 20/ 115].

ب ـ الموقف الآن يقتضي القضاء على صلة آدم بالحقّ و كان ذلك بأنْ يزعزع الإيمان من خلال غرس مغالطاته و أفكاره الخاطئة: ﴿... مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف: 7/ 20].

بهذا الكلام أرادَ إبليس أن يوحي لآدم و زوجه:

– أنّ ربهما لم يصدق القول في سبب المنع.

إن لم يصدق القول في سبب المنع يصبح بالإمكان التشكيك في مصداقية قوله لهما أنّ إبليس هو العدو. و هكذا يصبح بالإمكان أن يقاسمهما إبليس ﴿...إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ وأن يقدّم سبباً آخرَ للمنع. هذا الشك بصدق الله عزّ و جلّ جهل. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾؟

– أنّ ربهما منعَ عنهما الخير منعَ شحٍّ. و هو جهل كجهل بني إسرائيل بأنّ الله يداه مبسوطتان و هو جهلٌ بأنّ الله كريم لا حدود لكرمه.

– أنّ ربهما لا يريد لهما الخير، فلِمَ رجاؤه؟ و هو جهل بأنّ الله لطيف بعباده.

– أنّ ربهما مخطئ في هذا المنع، أي أنه غير منصف و غير عادل. و هو جهلٌ بأنّ الله هو الحقّ و الحكم و العدل و القائم بالقسط.

– أنّ ربهما غريم، إذ يعرقل طموحاتهما، فلِمَ طاعته؟

و هو جهلٌ بقدر الله، إذ إنّ هذا الجهل يقتضي جعل الخالق و المخلوق في مواجهة على نفس المستوى و مقابلة على نفس الحلبة. كجهل الذين يقابلون الله سبحانه وتعالى بالشيطان مقابلة الخير المطلق بالشرّ المطلق. و هذا جهلٌ فاحش إذ لا يقابله شيء سبحانه.

– أنّ الشجرة هي التي تمنحُ الخلدَ و ملكاً لا يبلى و ليس ربهما. و هو جهلٌ بأنّ أية قدرة إنما هي بيد الله تعالى وحده الواحد القهار.

– أنهما إنْ أكلا من الشجرة تغلبا على إرادة ربهما و فرضا عليه الأمر الواقع. فلِمَ الخوف منه؟ و هو جهلٌ بأنّ لا شيء يتمّ إلا بعلم الله و بسابق مشيئته و إرادته.

ج ـ هكذا أوقعَ إبليسُ آدمَ و زوجه في الفخّ و أسقط عليهما عقدَهُ:

– ليسا خالدين أي أنهما آيلان إلى الزوال، و هو أكثر ما يستثيرُ غريزة البقاء.

– ليس عندهما مُلكٌ لا يبلى، أي أنهما عرضة للحاجة في أيّة لحظة.

– ليسا ملكين، أي إنه بالإمكان أن يكونا خيراً مما هما عليه بتحولهما إلى ملائكة، و طالما لم يحدث ذلك فهما دون و فيهما نقصٌ.

هكذا من خلال صرفِ إبليس اهتمام آدم و زوجه عن الله إلى نفسيهما، استطاع بدعوته أن يوهمهما بأوهام فعلت فعلتها في نفسيهما **إذ استسلما لها** فأحدثتْ في نفسيهما فجوة فتحركتْ لملئها قواهما، **هما**، بدوافع وهمهما لا بسلطان من الشيطان.

في اعتقادي أنّ كلّ ما يُذكرُ في القرآن الكريم لا غنى لنا عنه البتة.

التحليل السريع الذي أجريناه أعلاه يدلّ على أنّ التفاصيل السابقة التي منَّ الله تعالى بها علينا في كتابه الكريم ليست تفاصيل فضول من حكاية أو نقاط مسلِّية تلوِّن الرواية، إنما هي محطات توجب المرءَ التوقفَ عندها و التأمّلَ فيها و استخلاص العبر و خاصة الاعتبار منها!

هل يمكن لِمَنْ يطلبُ العلمَ الحقيقيّ أن ينهلَ من منابع العلم و المعرفة و الحقيقة و الهداية ما لم يُغلق عن نفسه أبواب الجهل و موارده؟

أخطاء إبليس

﴿ وَإِذْ ...
قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ
إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة: 2/ 34].

لقد ارتكب إبليسُ عدّة أخطاءٍ مهلكة:

1. لقد جهل إبليس حدوده الحقيقية، فأبى و تصرّفَ باستكبار بناءً على تقدير خاطئ لنفسه.
2. ﴿... وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ جهله جعله يُعرض عن الإيمان؛ لقد نَبَذَ الحقيقة واحتفظ برأيه الشخصيّ الخاطئ.

في سورة ص (آية 75) نقرأ؛ ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ... ﴾.

لم يفهمْ إبليس أنّ الأمر الإلهي حقيقة مطلقة لا شكّ فيها. إنه لم يفهمْ أنّ الأمر الإلهي كان بالسجود لما خلق الله تعالى **بيديه!** ولِما منحه من روحه و علمه.

﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

نقرأ في سورة البقرة (آية 33) ﴿...أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

و بالتالي في الآية 75 من سورة (ص) لم يكن الله جلّ جلاله بحاجة إلى تفسير من قبل إبليس و لكنه، لعله جلّ جلاله قد منح إبليس فرصة للتوبة و الرجوع عمّا هو فيه و ذلك من خلال تبيانه له سوءَ فهمِهِ و كذلك من خلال تحذيرِهِ إياه من المبالغة في تقدير نفسه.

السؤال كان بشكل خاص توبيخاً و ما كان الجواب المنتظر إلا ليكون **إظهاراً لما بطن** وكذلك حجة على إبليس الذي ردّ:

﴿... أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾.

3. لقد رأى إبليس الجانب السطحي و المادي فقط من الموضوع و من وجهة نظره الشخصية: نار ـ طين.

4. بناءً على معطيات ناقصة و بناءً على علم ناقص و منطق مغلوط استنتج إبليس ما يتوافق مع ادعائه.

5. لم ينتهز إبليس الفرصة المعروضة عليه من الحليم الصبور الحكم العدل الحق جل جلاله، ليعدلَ عن كبره و تعنته و تمسكه بموقفه المبنيِّ على معطيات و منطلقاتٍ خاطئة.

أوليست هذه الأخطاء مألوفة جداً ؟

الدراما الإنسانية

في التعليق السابق على آيات سورتي البقرة و (ص) تبيّن لنا أخطاء إبليس، جهله و ضلاله. إنه لمن اللافت للنظر أنّ في سورة الحجر (آية 39) يقسم إبليس أن يستخدم أخطاءه نفسها ليغوي الإنسان كما حدث له. ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

إنْ عدنا الآن إلى سورة الكهف فسوف يكون لدينا فهم عميق للآيات (50–53) والتي تبتدئ **بإشارة** تدعو القارئ إلى **التذكّر**. و هو ما قمنا به في جولتنا السريعة السابقة.

﴿ وَإِذْ...
قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ
إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ

أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ !؟
بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾
مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ
وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾
وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ
فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾
وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ
فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا
وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ ﴾.

إنّ المقطع السابق من سورة الكهف يؤكد على نقطة محددة في الدراما الإنسانية: أنّ الدراما بدأت بالحقيقة عندما أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم، أو بعبارة أخرى عندما منحه أعظم قوة إيجابية مرتبطة بالـ(**روح ـ علم**)، بنفس هذه اللحظة تماماً، وبناءً على قاعدة التوازن الكونية، أصبح إبليس، و المرتبط **بالجهل**، أعظم قوة سلبية ضد آدم.

يمكننا اعتبار الأمر الإلهي بالسجود لآدم نقطة تحول.

هذه النقطة كانت لتجعل الباطن والمكنون ظاهراً و لتجعل فصلاً بين الخير و الشر.

في المقطع السابق من سورة الكهف و بعد ذكر السجود لآدم نجد ذكر هؤلاء الذين ضلوا ومن ثم عقابهم النار التي لم يجدوا عنها مصرفاً.

الدورة من الخلق إلى البعث كما هي مذكورة باختزال في الآيات السابقة تنتهي بشكل مأساوي.

هل يمكننا أن ننسى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: 7/ 47].

إنْ كان قارئ القرآن صادقاً و حساساً متفاعلاً مع النص غير مغرور و عالماً أنّ لا شيء يضمن له ألا يكون مصيره مع هؤلاء في النار، فسوف يطرح على نفسه السؤال: أين المصرف عن هذه النار التي لم يجدوا عنها مصرفاً؟

المصرف

يكفي أن نتابع سورة الكهف:

﴿... وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ

وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ

إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ

وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ

وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ

إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا

وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾

وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ

بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾

وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا

وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾.

الفكرة الأساسية في الآيات السابقة و بناءً على ما سبق تتركز حول ردود فعل الإنسان السلبية تجاه الرسالة الإلهية التي فيها خلاصه.

التأكيد في الآيات السابقة هو على سوء فهم الإنسان للرسالة الإلهية.

ما السبيل إلى تحاشي و وقاية الإنسان من سوء الفهم ذاك ؟

ـ بتجنب الأخطاء.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ...﴾ [الكهف: 18/ 54].

المثل الموعود ممنوح:

نجد قصة لتبيان هذه الأخطاء و خاصة في حالة البحث عن المعرفة المقدسة.

سيدنا موسى

كجزء من كلّ لا يتجزأ و كتعليق، أو شرح، أو مثال، ونتيجة لما سبق نجد أن قصة سيدنا موسى والخضر مثال لحالة قصوى.

إنه لمن اللافت للنظر اختيار سيدنا موسى بالذات من بين الأنبياء في هذه القصة المعدّة في علمه الأزليّ سبحانه لتكون في كتابه الكريم إلى آخر الزمان. سيدنا موسى المعروف بشخصيته و إمكانياته الاستثنائية و خاصة بعظيم علمه الذي يشمل ما كان معلوماً عند خواص المصريين الذين كان علمهم يمثل ما يمكن اعتباره أعلى نموذج من نماذج المعرفة في الدنيا آنذاك.

القصة إذن عن **رجل استثنائي**، عن **نبيّ استثنائيّ** يتمتع **بعلم استثنائيّ** و في طلب المعرفة العليا.

هذا البحث عن المعرفة هو رحلة إلى المجال المركزي اللامحدود للمعرفة و الذي **يحتاج إلى إرشاد.**

لا بدّ لي قبل متابعة ما نحن بصدده أن أؤَكد على أنّ الهدف من استقراء النص القرآني الكريم هو نهل المعرفة من منبعها الصافي نهل متعطش. هل يلقي العطشان بالماء أرضاً بعد إذ صار بين يديه أم يشربه فيسري سرّه فيه؟

ما فائدة العلم إن لم يعتبر منه صاحبه؟ الاعتبار يقتضي إسقاط هذا العلم على نفس المتعلم. لذا فإنني أؤكد ثانية أنّ ما نحن بصدده قصةً بطلها نبيّ استثنائي ليس الهدف من تحليلها تقييم سيدنا موسى و لكن الهدف من هذا التحليل هو استخلاص العبر لأنفسنا.

لو استبدلنا سيدنا موسى في هذه القصة إنساناً عادياً؛ لما كان لهذه القصة وقعها علينا إذ يمكن أن يتسلل إلينا الغرور فنقول لن نقعَ بأخطاء رجل عاديّ كهذا.

كون القصة قد حدثت لسيدنا موسى فهو دليل على خطورة الأخطاء المبيّنة فيها و هذا ما يزيد من قوة العبرة.

جزى الله عنّا سيدنا موسى كل خير إذ تحملّ عنّا عبء الخطاب و تحمّل ما تحمّلهُ في هذه القصة ليرينا اللهُ تعالى من آياته ما يخرجنا بها من الظلمات إلى النور.

الفتى

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ... ﴾ [الكهف: 18/ 60].

إنها لردّة فعل طبيعية التساؤل عن هوية فتى موسى. إني قرأت الكثير من محاولات بعض المفسرين لتحديد هويته ولكن بلا دليل كافٍ. بعض المحاولات ليست سوى حماقات مؤسفة كالتي هي في تعليق لترجمة فرنسية للقرآن (قام بها مسلم غير فرنسي)، حيث إن موسى و فتاه ليسا موسى و فتاه بل جلجامش و أنكيدو.

القرآن نصٌّ في غاية الدقة و الاقتصاد و الكمال، كون تحديد هوية الفتى غير مذكور، فإنّ ذلك يعني أنه غير مهم بالنسبة للرسالة المقصودة في النص، تحديد هوية الفتى لا يعطي شيئاً ذا قيمة بالنسبة لدور الفتى في القصة.

دور الفتى هو ما ينبغي أن يركزَ عليه المفسر أو الدارس للنص.

لعل ذكر الفتى كان للتأكيد على أنّ القصة حدثت في فترة متأخرة من حياة سيدنا موسى عليه السلام؛ فتى قد تعني خادماً، أو مساعداً، أو تابعاً، أو حتى مريداً. هذه المعاني تقودنا إلى استنتاج أن القصة حدثت بعد زمن طويل من ترك موسى لمصر لأول مرة، و بالتالي هذا يعني أنه كان في حقبة من حياته و قد بُعث. (و هذا ما تؤكدّه الأحاديث).

أظنُّ أن الفتى قد ذكر للتأكيد على عنصر هام في القصة:

- **خطأ نسيان ما لا ينبغي نسيانه.**

لقد تمّ التقديم لهذا العنصر قبل بداية قصة سيدنا موسى و الخضر في (الآية 57) من سورة الكهف:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا
وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ
إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ... ﴾

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ ... ﴾ [الكهف: 18/ 60].

إنه مكان اللقاء بين سيدنا موسى و سيدنا الخضر، و ليس مجمع بحرين تفصيلاً سطحياً أو ثانوياً في هذه القصة، إنه **مفتاح**.

﴿... حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ [الكهف: 18/ 60].

الحوت

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ [الكهف: 18/ 61].

إننا نفهم من سياق الآيات قبل كلّ شيء أنّ الحوت إشارة.

بالنسبة لسيدنا موسى كان إشارة تدله على مكان و زمان اللقاء مع سيدنا الخضر.

إننا نفهم كذلك من سياق الآيات أنّ الفتى كان مسؤولاً عن الحوت.

ولعلنا نفهم من الآيات التالية أنّ الفتى لم يكن يعلم الغاية الحقيقية من الحوت، لعله ظنه غداء.

إنّ ما يلفت النظر و يثير الدهشة هو أنّ سيدنا موسى نسي أن يهتمَّ بالحوت، و الذي كان الإشارة الوحيدة و النهائية بينه و بين الخضر.

مجمع البحرين كان ضرورياً و لكنه لم يكن بحدّ ذاته كافياً.

بطريقة معبّرة للغاية ذكر النسيان في هذه القصة 7 مرات:

4 مرات بصريح العبارة كما في النص، و 3 مرات بشكل ضمني.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ [الكهف: 18/ 62].

فقط عند هذه اللحظة تذكّر الفتى الحوت، و الذي ظنّه ببساطة غداء.

قد يظنُّ قارئٌ غير منتبهٍ كالفتى، أنّ الغداء كان الحوت، و أنّ موسى عليه السلام طلبه ليأكله.

ما أظنُّ أنّ الجوع قد بلغَ بسيدنا موسى حداً ليلتهمَ الإشارة الوحيدة و النهائية بينه و بين سيدنا الخضر!

إنه لمن المفيد ملاحظة (و ذلك كإشارة خاصة) أنّ الكلمة المستخدمة في هذه القصة هي الحوت و ليس سمك.

حوت تعني عموماً سمكة كبيرة، خاصة أنّ ما ابتلع سيدنا يونس كان حوتاً فلنا أنْ نتصور حجم ذلك الحوت ليتسع رجلاً حياً في أحشائه.

وردتْ كلمة حوت 5 مرات في القرآن:

2 مرة في هذه القصة،

2 مرة في قصة سيدنا يونس،

1 مرة (بصيغة الجمع) في قصة حيتان السبت.

ألم يكن أمراً عجيباً جداً أن يؤمرَ النبيُّ العظيم و العالم سيدنا موسى أنْ يمضي حقباً وهو يحملُ حوتاً كعلامة نهائية بينه و بين سيدنا الخضر؟

هل كان هذا ضرورياً ؟

ألم يكن بالإمكان ترتيب اللقاء بين سيدنا موسى و الخضر بطريقة أقل غرابة ؟

أليس الحوت أعجب عنصر في هذه القصة و أكثره شذوذاً ؟

إنَّ «خللاً» مقصوداً في نظام مُحكم هو إشارة.

الحوت و النمل هما المخلوقان الوحيدان المذكوران في حديث شهير عن المعرفة (فضل العالم على العابد)[1]، و في حديث آخر مشابه عن ابن عباس[2]، الحوت هو المخلوق الوحيد المذكور. لم تردْ كلمة نمل سوى في موقع واحد من القرآن. إننا نجدها في سورة النمل و في بداية قصة سيدنا سليمان و ملكة سبأ، و التي هي قصة محورها العلم اللدني كذلك.

العدد الواقع على حوت بحساب الجمل هو 23× 18= 414

23 −18= 5

23+ 18= 41 إنها إشارات للعارفين.

(1) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ» [سنن الترمذي: 2609].

(2) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (مُعَلِّمُ الْخَيْرِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحُوتُ فِي الْبَحْرِ). [سنن الدرامي: 347].

النسيان

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى
ٱلصَّخْرَةِ
فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ
وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ
أَذْكُرَهُۥ ﴾
«وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ (16) سَرَبًا»
«وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ (17) عَجَبًا »

بحساب الجمل: سربا ـ عجبا = 263 ـ 76 = 187 = 17×11، م(33) = 17 × 33

نستنبط من كلام الفتى أنّ النقطة المحددة من مجمع البحرين حيث تمتْ عجيبة الحوت هي الصخرة.

الصخرة = 926 = أَذْكُرَهُۥ.

على الرغم من أنها عجيبة فإن الفتى لم يبلغ سيدنا موسى عنها. لعلّ ذلك قد حدث عندما كان سيدنا موسى غائباً و لو للحظة، أو لعله كان نائماً فلم يشأ الفتى إزعاجه، و نسي. لقد نسيَ شيئاً استثنائياً.

الشيطان أنساه. هل ينبغي عليّ أن أؤكد هذه النقطة و أن أشرحها؟

آفة العلم النسيان.

من بعد الآيات السابقة و صاعداً لا يوجد أيّ ذكر للفتى. في الآيتين القادمتين نعلم أنّ الفتى ما يزال موجوداً فقط من خلال الأفعال و التي وردتْ بصيغة المثنى. نقرأ في هاتين الآيتين أنهما ارتدا على آثارهما قصصاً و أنهما وجدا سيدنا الخضر. عند هذه النقطة يتلاشى الفتى من النص و ينتهي دورُه و لا نجد أيّ إشارة إليه فيما بعد.

إنّ ذلك يشير بوضوح إلى أنّ دور الفتى هو التأكيد على فكرة النسيان و حقيقتها من خلال الجملة الوحيدة التي نطق بها:

﴿... فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ
وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ
أَذۡكُرَهُۥۚ
وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ﴿٦٣﴾

قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴿٦٤﴾﴾

الحكيم

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ
ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا
وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف:18/ 65].

و هل لعالم عارف ذي حظ من العلم اللدني إلا أنْ يكون عبداً من عباد الله؟

أي أنّ جميع حركاته و سكناته أصبحت بالعبادة، أي الطاعة المطلقة، مطابقة لإرادة الذي خلق السمواتِ و الأرض و خلق قوانينها. أي إنه بعبوديّته المطلقة هذه، و تبرئه من حوله ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ يخرجُ من محدودية إمكانيات الأنا و حُجُبِها ليدخلَ في قوانين النظام الكونيّ منسجماً معها و منتمياً إليها فيصير بذلك أهلاً لوعي تجلّيات الحقيقة، و لا يتمّ ذلك أصلاً إلا برحمةٍ يؤتيها الرحمن من عنده و علم يعلمه من لدنه.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: 18/ 66].

نلاحظ في طلبِ سيدنا موسى إنكارَ ذاتِهِ و هو النبيّ العظيم و المتمتّع بأعلى علوم زمانه. لذا فهذه القصة مثال لحالة قصوى، سوف نرى ردود أفعال سيدنا موسى.

ما عسانا أن نقولَ إذن عن ردود أفعال عامة الناس؟

صبر

لقد ردَّ سيدنا الخضر مباشرة و بلا مقدّمات و بشكل صاعق:

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ [الكهف: 18/ 67].

هذه الجملة واحدة من أكثر جمل القرآن تميّزاً و لفتاً للنظر، و خاصة أنها وردت في هذه القصة بإصرار و تأكيد 3 مرات مثل (آية 67) و 2 مرة في (الآيتين 78، 82) هذه الجملة أتت وبشكل رائع في نهاية آخر آية من هذه القصة.

إن ما يزيد من قوة تأثير هذه الجملة هو تكرارها الرتيب و الذي يتباينُ بقوة مع التغيير والتشويق الذي تتصف به الآيات الأخرى المحيطة بها.

إنّ الفكرة المجردة في هذه الجملة تتباين و بقوة مع ما حولها من آياتٍ تعبّر عن أفعال وأحداثٍ ماديةٍ و مرئية.

إنّ أهم كلمة في هذه الجملة هي كلمة [صَبْرًا] و التي تأتي على الدوام في آخر الآية.

إنّ قصة سيدنا موسى و الخضر تنتهي بكلمة صبراً.

وردتْ كلمة صبراً 5 مرات في هذه القصة.

الصبر هو السمة الأساسية المطلوبة في أولي العزم الـ 5 : **نوح**، **إبراهيم**، **موسى**، **عيسى ابن مريم**، **محمد** عليهم صلوات الله و سلامه.

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الكهف:18/ 67].

برّر سيدنا الخضر و شرح قائلاً:

﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾

في الحقيقة هذه الجملة تلخّص الجانب الأساسي من رسالة هذه القصة.

إنّ هذه الجملة مكثفة و مختزلة، واضحة و قوية إلى درجة وجدتُ فيها أنها لا تحتاج إلى أيّ تعليق.

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الكهف: 18/ 69].

الصمت و الرمز و الإشارة

﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الكهف: 18/ 70].

إنه لمن المفيد جداً النظر إلى هذه الآية من خلال المفهوم العام للقرآن ككل.

بعد ما لا يزيد عن صفحتين أو ثلاث صفحات من قصة سيدنا موسى و الخضر وفي بداية السورة التالية، سورة مريم، طُلِبَ من سيدنا زكريا أولاً ومن ثم سيدتنا مريم أنْ يلتزما الصمتَ و هما يواجهان آية.

لقد سُمِحَ لهما باستخدام الرمز أو الإشارة فقط للتعبير عن نفسيهما.

فالكلمات العادية غير مناسبة للأحداث غير العادية.

سورة مريم (آية 10-11):

﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً

قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ

ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ

فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ

أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾.

و في سورة آل عمران (آية 41) نجد الاستخدام الصريح لكلمة رمز.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً

قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا... ﴾

لِـمَ ؟ و ما الحكمة من ذلك؟

كذلك يُطلَبُ من سيدتنا مريم في سورة مريم (آية 26):

﴿... فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا

فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾

و عندما سألها قومها عن وليدها (الآية 29):

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ

قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾

تبدأ قصة سيدتنا مريم في هذه السورة بقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ﴾

﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف: 70].

لقد أخبر سيدنا الخضر موسى عليه السلام في طلبه هذا، ضمناً، أنّ رسالته ذات شقَّين:

- عناصر من المعرفة ممنوحة بعرض بصري.
- تعليق كلامي.

كلّ شق من هذين الشقين يُعتبرُ كلّاً متكاملاً لا تداخل بينهما.

الأول أسلوب تعبير بصري و لا محدود،

و الثاني أسلوب كلامي محدود يمثل **جانباً** من الأول، كلاهما ممنوح بشكل كليّ.

و بالتالي أيّ سؤال يُطرحُ سوف يُفسدُ نظام الرسالة.

و أيّ جوابٍ على شكل تعليق كلاميّ سوفَ يكونُ غير صحيح طالما أنّ العرض البصري لم يكتمل.

أيّ جواب عن سؤال سوف يُفسدُ نظام الرسالة و سوف يخلقُ مواقفَ جديدة لم تكنْ واردة في النظام.

أيّ جوابٍ في هذه الحالة هو هبوط إلى السائل الذي ما زال غير مهيأ. على السائل أنْ يصعدَ.

ليصعدَ، ينبغي عليه أنْ يتخلصَ من ثقل عالم المادة.

لا بدَّ أنّ سيدنا الخضر كان قد أنبأَ عن ردود الفعل القادمة لسيدنا موسى ليجرؤَ و يقول له جازماً بأنّه لن يستطيعَ معه صبراً.

على الرغم من ذلك، و بعد هذا التحذير، ما حدثَ كان ليجعلَ المكنون ظاهراً.

في سورة الكهف نقرأ:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾.

كم هي مأساوية حالة أولئك المذكورين في الآية (104).

نقرأ في سورة العنكبوت (آية 2):

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾

إنها رحمة!

إنها تُري الإنسان حقيقة ما هو عليه

إنها تُريه موقعه في طريقِهِ من الظلمات إلى النور

إنها تُريه نقاط ضعفِهِ و باطنِ إثمه المختبئ في ذنوبِهِ

إنها تُريه أخطاءه و ذلك ليتخلّصَ منها قبل فوات الأوان، عندما تنتهي فرصة الحياة الدنيا ويثبت كل شيء.

فانطلقا

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ... ﴾ [الكهف: 18/ 71].

لم يجلسْ سيدنا الخضر ليلقيَ محاضرة كلامية متّسمة بالادعاء و الغرور و التبجح بالمعلومات، و لم تكن في نيّته فتح مناقشاتٍ سفسطائية و عويصة و الدخول بمجادلات.

لم يتفوّه بكلمة **بل أعطى سيدنا موسى فرصة ليتفكّرَ و يتأملَّ فيما جرى و قيل.**

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾ [الكهف: 18/ 71].

لقد نسيَ سيدنا موسى كلّ شيء عن خبرته و حكمته.

لقد نسيَ وعدَهُ و لم يصبرْ.

و بتعجّل و بشكل آلي، اعترض.

اعترضَ و أصدرَ حُكماً جاهزاً ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾.

و عقَّبَ موسى حاكماً تصرُّفَ معلمه ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾.

لقد بنى سيدنا موسى استنتاجه و حكمه انطلاقاً ممّا يُعتبرُ حسّاً سليماً و على ما هو دارجٌ من تفكير محدودٍ بين الناس.

لقد رأى الحدثَ من خلال مجموعةٍ محدودة من الاحتمالات المنطقية و الصيغ الجاهزة.

لقد بنى حكمَهُ و كأنَّ منطقه الخاص كان الوحيد الصحيح و لأيِّ حالة، و كأنَّ المعلومات التي حضرتْ على عجل في ذهنه كانت كافية لهذا الأمر.

ما حضرَ في ذهنه على عجل هو ما يستخدمه الإنسانُ العاديُّ في حياته اليومية. لم يستخدمْ سيدنا موسى علمَه الاستثنائي.

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾
قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾
فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ ... ﴾

لا بدَّ أنهما سارا لفترةٍ ما، **إنها كانت فرصة أخرى ممنوحة لسيدنا موسى ليتفكّرَ فيما جرى وقيل:**

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ... ﴾

ما يثبتُ أنها كانت نفساً زكية؟ و ما يثبتُ أنها قُتلتْ بغير نفس؟

﴿ ... نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾
قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾
قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾.

في صحيح مسلم نقرأ قول الرسول ﷺ: «**يرحم الله موسى لوددتُ أنّهُ صبر حتى يُقصّ علينا من أمرهما**». و في رواية أخرى من نفس الباب في صحيح مسلم نقرأ: «رحمة الله علينا و على موسى لو لا أنّه عجّل لرأى العجب، و لكنه أخذته من صاحبه ذمامة، قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً، و لو صبر لرأى العجب...» منذ زمن النبيّ ﷺ يتساءل المسلمون بناءً على الحديث السابق ماذا كان يمكن أن يحدث لو لا مبالغة سيدنا موسى في اعتذاره؟ في الواقع لقد قطع سيدنا موسى الطريق على نفسه بوضع حدٍّ عليها لم يكن بحاجة إليه بل كان مبالغة.

وفي الإشارة عبرة لما يقدّمه العباد من حدود يثقلون بها على أنفسهم هم بغنى عنها ولا طاقة لهم بها وذلك كمبالغة عند الاعتذار من **الرحمن**.

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ ... ﴾ [الكهف: 18/ 77].

للمرة الثالثة منح سيدنا موسى فرصة للتفكر و التأمل فيما جرى و قيل:

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾﴾.

للمرة الثالثة نسيَ سيدنا موسى، لم يصبرْ و ارتكب نفس الأخطاء و لكنه في هذه المرة كان ضحية للحدّ الذي هو وضعه على نفسه فأردف سيدنا الخضر مباشرة و بحزم جازماً: ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾﴾.

تنتهي القصة بكلمة صبراً. و التي وردت بشكل مميّز و متكرر:

5 مرات في كل مرة عند آخر آية.

2 مرة أتت معدّلة في قوله: **تصبر**، و قوله: **صابراً**.

النتيجة

إنّه أمر لافتٌ للنظر و عظيم المدلول أنَّ قصة سيدنا موسى و الخضر تنتهي و نتائجها غير مصرح عنها.

ما يسترعي الانتباه و يستدعي الوقوف عنده هو أنّ هذه القصة تنتهي و ننتقل بعدها مباشرة إلى قصة أخرى دون أنْ نجدَ أيّ تعليق أو خلاصة للعبر الواردة في القصة.

أي إنّ ما يمكن فهمه من القصة لم يوضع في كلمات، و هذا أمرٌ في غاية الأهمية.

إنّ التعبيرَ بكلمات عن فكرة كونيّة غير محدودة مغالطة، إذ إننا بذلك نغالط أنفسنا بتحديد فكر لا محدود ضمن قوقعة الكلمات و محدوديتها فنُدخِل ذلك الفكر في فخ و متاهات لغةٍ و ثقافةِ عصر ما.

الإكثار من الأمثلة دون التعبير كلامياً عن النتائج و العبر يسمح و يفتح المجال لفهم أكثر مرونة و دقة و شفافية. خاصة أنّ ذلك يسمح لفهم، فيه صفة الفاعلية و الديناميكية لأنّ ذلك يُجبِرُ العقل على اتخاذ مبادرة إيجابية للفهم و الاستيعاب.

هذا الأسلوب عادل، إذ يسمح كذلك لكلّ أحدٍ أن يأخذَ فرصتَهُ في فهم ما تُمكّنه إمكانياته الشخصية من فهمه حسب المستوى الذي هو فيه و ضمن ما هو ميسّرٌ له. وبالتالي فإنّ في ذلك الأسلوب يقظة و تحرّر من خدر سلبية و ضيق حدود الفكر العام و الجاهز. هذه اليقظة وهذا التحرّر هما من السمات الأساسية للمعرفة المطروحة في القرآن، و هي معرفة ممنوحة لتحويل أنفسنا و لبلوغ غاياتنا الحقيقية. إنها ليست معرفة هدفها الوحيد السيطرة على المادة و كأننا خالدون فيها إلى الأبد.

قال الله تعالى:

﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: 23/ 112ـ 115].

و في سورة الروم:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

الزمان في تسارع مطرّد و الحياة الدنيا أقصر و أثمن من أن تضيعَ في جهودٍ عمياء مبعثرة و عبثية.

كان سيدنا موسى كغيره من الأنبياء معصوماً في الرسالة و الأمانة الموكلة إليه. و لكنه في أموره الأخرى كان بشراً كغيره من البشر حيث نجدُ الأعلى و الأدنى.

كان سيدنا موسى نبياً عظيماً و مرسلاً كغيره من الأنبياء ليرينا الصراط.

و هذا ما فعَلَهُ في هذه القصة.

الأنبياء كائنات بشرية و بالتالي هم قدوة ممكنة بالنسبة لنا.

كلّ قصة حدثت لواحدٍ منهم كانت مثالاً أقصى لحالة محددة.

في هذه القصة مع الحكيم تمّ اختيار سيدنا موسى لما اشتهر به من علم، ولما تعلمه خلال وجوده في البلاط الفرعوني من علوم تُعتبرُ أعظم ما كان يعلمه أهل الدنيا.

على الرغم من ذلك فإنّ موسى عليه السلام، كإنسان، ارتكبَ أكثر الأخطاء شيوعاً و خطورة في حالة إنسان يطلبُ المعرفة و خاصة المعرفة العليا:

على الرغم من أنه حُذِّرَ من عدم الصبر فقد كان عجولاً.

و على الرغم من أنه طُلِبَ منه الطاعة و عدم الاعتراض فقد نسيَ و نكث بوعده و لم يُطعْ.

ما كان هذا ليحدثَ لو أنه تجرّدَ عن نفسه و رأى ما رأى كما كان ما رآه عليه.

إنّ الطريقة التي رُسمَتْ له للقاء سيدنا الخضر، مجمع البحرين، الحوت، نسيانه من قِبَل الفتى، الجملة الوحيدة التي قالها الفتى ...

كلّ شيء حدثَ أمام سيدنا موسى كان موضوعاً حرياً بالتأمل.

كان سيدنا موسى **مدعوّاً للتفكّر بما جرى و قيل، و لطرح أسئلة على نفسه و الانتظار ريثما يحصل على الإجابات الصحيحة.**

سيدنا موسى بوصفه إنساناً نسيَ، و بالتالي استعجل فنقض عهده بالطاعة و اعترض. لقد خرق سيدنا الخضر السفينة ليعيبَها فيدرأ بذلك عن المساكين الذين يعملون في البحر كيد الملك الغاصب، لقد ابتدأ سيدنا الخضر عرضه البصري بهذه الطريقة، لم يخطرْ ببال سيدنا موسى كيف بدأت حياتُهُ، لقد كان يفكرُ في النتيجة **المنطقية** لخرق السفينة و نسي كيف رُتِّبَ إنقاذه بطريقة **غير منطقية** عندما ألقتْهُ أمه في اليم لتنقذَهُ من كيد ملكٍ غاصب، بهذه الطريقة دخلَ سيدنا موسى و بأمان في قصر الملك. عندما قتل سيدنا الخضر الفتى اعترض سيدنا موسى و استنكرَ بشدةٍ ما اعتبرهُ جريمة نكراء بحقّ نفس زكية، لقد نسي سيدنا موسى كلّ شيء عن المصري الذي قتله بغير نفس و الذي لم يكن نفساً زكية. عندما أقام سيدنا الخضر الجدار بغير أجر انتقده سيدنا موسى مشيراً إليه بأنه كان يمكنه أن يأخذَ عليه أجراً، نسيَ سيدنا موسى كيف ساعدَ الابنتين الاثنتين لسيدنا شعيب و الذي كان صالحاً و ذلك عند بئر مدين. (لم أرَ في حياتي بئراً فوق الأرض). لم يأخذْ سيدنا موسى أجراً رغم الحالة التي عبّرَ عنها بحزن و أسى:

﴿... رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: 28/ 24].

معرفـة

لم يستفدْ سيدنا موسى من تجربته الاستثنائية ليربطها بما رأى.

إنه لم يرَ **العلاقة**.

على الرغم من أنه نُبِّهَ و على الرغم من أنه كان ينبغي عليه أن يكونَ منتبهاً لأيّة إشارة!

ماذا نقولُ إذن عن أولئك الذين يُنكِرون بلا علم العلاقة بين عدّة نقاط معروضة عليهم؟

مبدئياً يجب أن تكونَ عناصر المعرفة صحيحة كمعلوماتٍ أو معطياتٍ، و لكن حصولنا على ذلك بحدّ ذاته و لوحده غير كافٍ.

ينبغي على الإنسان تعلم كيفية التعامل مع هذه المعلومات و المعطيات و كذلك كيفية الاستفادة منها.

ينبغي على الإنسان أن يتعلمَ كيف يسمو إلى المعرفة الممنوحة له فيفهمها بشكل سليم ليصيرَ منسجماً معها. هذه المعرفة يجب أن تصبحَ جزءاً من ذاته كما يجب أن يصبحَ هو ذاته جزءاً منها، وهذا لا يمكنُ بلوغه إن لم يكن طالبَ المعرفة مهيئاً جسداً و نفساً و روحاً.

كان ذلك الجانب الأساسي من رسالة سيدنا الخضر في هذه القصة.

لم يكن التأكيد على عناصر و معلومات من المعرفة بل كان التأكيد على أسلوب و منهجية التعامل مع هذه المعلومات.

الحقيقة واحدة. كلّ شيء يشيرُ إليها و بجلاءٍ بطريقة أو بأخرى.

إنْ لم يرَ الإنسان الحقيقة فالسبب هو الحُجُب التي على بصيرته لا على الحقيقة ذاتها. معنى ذلك أنّ على الإنسان أن يتغيّرَ من الباطن و من الظاهر لكي يكون مؤهلاً لتلقّي المعرفة. ليست المعرفة هي التي يجب جزمها و مسخها و تغييرها لتهبط إلى إنسان غير مهيأ. هذا المسخ و الهبوط من سمات أسلوب تعميم المعرفة و تبسيطها للعوام و نشرها بينهم.

كلّ دقيقة من دقائق قصة سيدنا موسى و الخضر يمكنُ فهمها على مستوياتٍ مختلفة توافق و تؤكّدُ بعضها بعضاً، و لكن ذلك يتطلب علماً عالياً و حذراً و دقة في تناول النص.

في هذه الآيات الـ 23 من سورة الكهف و التي ترتيبها 18 لدينا عناصر نقية من المعرفة العليا. افهم الإشارة.

لتناول مثل هذه المعطيات (العناصر) ينبغي علينا ألا نستدعيَ عناصر و معلومات أخرى طفيلية و مشوشة فنضعها بيننا و بين الحقيقة التي نريدُ دراستها فتحجبها عنا. هذا هو الخطأ الأساسي في العاميّ من أسلوب الاقتراب إلى المعلومة.

هذه المعلومات الطفيلية تزيد المسافة بيننا و بين المعلومات النقية المراد دراستها و تحجب عنّا أنوارها.

إنْ كنا نريد استنطاق هذه المعلومات النقية ينبغي علينا أن نفسحَ لها المجال أن تعبِّرَ هي عن نفسها و لوحدها بعيداً عن جعجعة المعلومات الطفيلية.

لنسمعَ رسالة هذه المعلومات النقية يجب علينا أنْ ننصتَ بصمت.

للحصول على أجوبة صحيحة يجب طرح أسئلة صحيحة و انتظار الجواب من هذه المعلومات النقية المركزية و ليس من الخارج.

إن وجود جواب لدينا لسؤال ما، فهذا لا يعني أنّ هذا الجواب هو الجواب الوحيد.

من خلال دراسة أقوال و أفعال سيدنا الخضر يمكن لأيّ أحد أن يستخلصَ منها أنه ينبغي الصبر و التريّث و عدم الحكم على ظاهر الأمر؛ إذ توجدُ حكمة خفية أودعها الله تعالى أمره وعلَّمها لمن آتاه رحمة من عنده و علّمه من لدنه علماً.

بعد إذ استخلصنا هذه العبرة التي لا تخفى على أحد، ترى من يعتبر منها و يطبقها مباشرة على قصة سيدنا موسى و الخضر!؟

لماذا موعد عند مجمع البحرين؟ لماذا الحوت كإشارة؟ لماذا ثلاثة أمثلة؟ لماذا هذه الأمثلة وليس غيرها؟ لماذا في هذا الترتيب؟

ما هو ذاك العلم الذي بعد بحرين و صخرة و حوت، يبدأ بسفينة، و بعد قتل ينتهي بكنز مخفي؟

أبوان صالحان و غلامٌ ميت، غلامان و والد صالح ميت.

لن أدخلَ في دراسة مفصلة لهذه المسائل، و لن أقترحَ على القارئ مراجعة التفاسير الموجودة دون تذكيره أنّ أشهرها كُتِبَ في العصور الوسطى. (هذه التفاسير عموماً تمثّل

مختلف مستويات الاتجاهات و الميول العقلية عبر ثلاثة عشر قرناً، و من المحيط الأطلسي إلى الشرق الأقصى). إنّما أودُّ فقط الإشارة، أنه ينبغي ألا نخلط بين شرح يفسّر معاني النص و بين استخدام للنص كمثل لتقديم فكرة ما.

مثلاً يمكننا استخدام نص قصة سيدنا موسى و الخضر كمثال لتبيان كيفية التعامل مع نص مرموز و كيفية فهمه؛

كما في القصة: الصبر و الذاكرة ضروريان في طلب المعرفة و في تناول نص من نصوص علوم الخواص.

خرق السفينة هو العيوب المقصودة أو الفجوات و المعلومات الناقصة في هذه النصوص، ممّا يجعلها مرفوضة فتنجو بذلك من غصبِ «ملوك» ظالمين. هذا يحدث خاصة في نصوص علم أحد أهدافه خدمة المساكين، لا خدمة ملوك ظالمين آخرين.

قتل الغلام مثل قتل فلسفات أو أفكار شابة جديدة عدمية و لا أخلاقية ليستبدل بها خيراً منها زكاة و أقرب رحماً، كاستمرار لفلسفة صالحة و عريقة.

الجدار هو كالمقاطع التي تبدو و كأنها شرح و إيضاح دون مقابل و بنفس الوقت تدعيم لبناء ما من الأفكار و المفاهيم. و لكن في الحقيقة ما الهدف من ذلك كله سوى إخفاء كنز و حمايته ليستخرجَهُ مستحقيه من ورثة شرعيين.

تذكرة بالعناوين

01. **وإذ**: يبدأ العلم بالتذكر، بتذكر ما يريدنا الله تعالى أن نتذكره، و يكمن الوصول إلى العلم في الذكر، و الذكر الحقيقي وعي.

02. **العلم**: لا بدّ من أخذ العلم من مصدره كي يكون نقياً و حيّاً! و مصدر العلم الحي المطلق هو الله جلّ جلاله **ولن يدرك معنى و حقيقة ذلك إلا مجرّب.**

03. **آدم و العلم**: لا يمكن أن يبلغ علم أيّ كان من بني آدم مهما عَلَتْ مكانته عند الله عز وجل إلا حدوداً مرسومة له، حدودها حقيقة خلافته في الأرض. الخلافة في الأرض تتطلب علماً. بنو آدم الخليفة في الأرض رُفع بعضهم فوق بعض درجات و لكلٍّ مستوى قدر ضروري من العلم.

04. **إبليس و الجهل**: أصل موارد الجهل كلها. و هل لطالب أن يدّعيَ العلم الحقيقي إنْ لم يتجنّب و ينصرف عن موارد الجهل ؟

05. **أخطاء إبليس**: لا يمكن الابتداء والاستمرار في السلوك باتجاه الحقيقة إلا بتجنّبِ الأخطاء، وإلا حادَ السالك و تاه و ضلَّ و كان أمره فرطاً.

06. **الدراما الإنسانية**: بين الضلال و الهدى، بين الفساد و الصلاح، بين المادة و اللامادة، بين الدنيا و الآخرة بين الظلمات و النور.

07. **المصرف**: القرآن و قراءته بوعي، **والاعتبار بما فيه و تطبيق المعلوم** منه للّحاق بالذين يسارعون في الخيرات.

08. **سيدنا موسى**: من أكابر بني آدم الخليفة على الأرض و الممنوح علماً و روحاً. قدوة ومثل أعلى.

09. **الفتى**: و الجملة الوحيدة التي نطق بها.

10. **الحوت**: الإشارة تحوي في العلوم المقدّسة على أثمن المعلومات، لذا يستميتُ الشيطان للتعمية عليها لحرمان الإنسان منها.

11. **النسيان**: آفة العلم و أداة الشيطان.

12. **الحكيم**: هو عبد من عباد الله، كمالُ عبوديّته شهودٌ بألوهية الله فعتقٌ من ظلمات وحجب ألوهية النفس و رحيلٌ من تيه حيرتها إلى النور.

13. **صبر**: شرط على كل من سارَ في طلب المعرفة، و أكثر ما يتجلى الصبر في تجاوز المرء نفسه و التغلب على تمرّدها و إنكار إرادتها واستبدال الثقة بها؛ فيصير الصبر بالاستعانة والثقة بالله صبراً جميلاً.

14. **الصمت و الرمز و الإشارة**: عندما يصلُ الأمر إلى مستوى تعجزُ فيه كلماتنا العادية والمحدودة عن التعبير عن العلوم العليا لا بدّ من إسكاتها واستبدال الرمز والإشارة بها.

15. **فانطلقا**: لا بد أن يكون كلّ ما تعلمه المرءُ حاضراً في ذهنه و وجدانه عندما يخطو خطوة جديدة في طريق العلم.

16. **النتيجة**: لا يمكن تفتيتها و مسخها ضمن حدود الكلمات.

17. **المعرفة**: المعرفة الحقيقية ليست أكواماً من المعلومات أشبه، في أحسن الأحوال، بأشلاءَ من جثث. المعرفة الحقيقية تكمن في كيفية التعامل مع المعلومات و توظيفها ضمن سلم أولوياتٍ و ضمن رؤية شاملة حيث التمييز بين الوسائل و الأهداف والغايات أمرٌ واضح.

مقدمة الرسالة

التقى جلال الدين الرومي مع شمس تبريز في قونيا. وعندما سأله التبريزي عن غاية الرياضيات و العلوم قال جلال الدين: الاطلاع على آداب الشرع.

فقال شمس الدين في هدوءٍ وثقة:

لا، بل الوصول إلى المعلوم.

و أنشدَ بيتاً للحكيم السنائي الغزنوي قال فيه:

إنّ العلمَ إذا لم يجردك من نفسك فالجهل خير منه.

وفـق

يدعى الوفق باللغات الأجنبية بالمربّع السحري.

عبارة «سحري» عبارة عاميّة و سطحية، و وقعها على الآذان غير مستساغ خاصة وقع كلمة «سحري» التي انحدرت في سائر اللغات إلى حدٍّ منفِّر و مثير للأعصاب.

كلمة وفق باللغة العربية عبارة في غاية التعبير و الغنى، لقد تمّ اختيارها من قِبَل الأسياد و العارفين في هذا العلم.

تُكتَبُ كلمة وفق كمصدرها وَفَقَ، و الذي يعني فيما يعنيه:

أن يكونَ الأمرُ صحيحاً، مطابقاً، ملائماً، مناسباً، منسجماً ... إلخ من معان لا تخفى على العربيِّ و التي تحتاجُ إلى صفحتين على الأقل من قاموس عربيّ.

(راجع الصفحتين 262 و 263 من لسان العرب؛ مجلد 12 لابن منظور – طبعة بولاق)

أتركُ مجالاً للقارئ أن يقومَ بنفسه بجولةٍ في معاني و أبعاد ومشتقات كلمة (وفق) ليرى أنَّ الكلمة في جميع أبعادها إيجابية و في جميع معانيها تبعثُ السرورَ و التفاؤلَ و لا تتركُ إلا انطباعاً طيباً، و هي بنفس الوقت مناسبة و بشكل رائع للغرض المنوط بها.

مثلث

مثلث (... صفة لأيّ شيء مشكّل من ثلاث) و هي عبارة مستخدمة للدلالة على أول السطوح الهندسية. و هي مستخدمة للدلالة على المثلث المصري الذي يُدعى من قِبَل الأوروبيين بمثلث فيثاغورث.

و كذلك في مثلث العارفين الذي يُدعى «تتراكتيس».

هرمس، يلقّبُ بالعربية بـ «هرمس المثلث بالحكمة».

و كذلك يُقال لحجر الفلاسفة أو حجر الحكماء بالعربية الحجر المثلث: (جسد ـ نفس ـ روح).

كل ذلك ممثل بشكل جليٍّ وبديع في الوفق المثلث.

رسـالة

النصُّ التالي لهذه المقدمة، نصّ مكتوب بالطريقة التقليدية لكتابة ما يسمّى بـ «الرسالة» و التي هي نمط من الكتابات الموجّهة لقلةٍ من الخواص؛ ولذلك تسمى «رسالة» ولا تُسمّى كتاباً، و هي تتميّزُ بأسلوبٍ وديٍّ كمَنْ يُسرُّ بأمر هام لِمَنْ يثقُ به ممّن هو أصلاً على اطلاع بالموضوع.

تُكتبُ «الرسالة» للتذكرة بالمعنى الصوفيّ للكلمة و لتسجيل و تأكيدِ بضعة نقاط من مسألة ما. ليس الهدفُ من «الرسالة» التدريس أو التعليم بالمفهوم العام و الدارج الذي اعتدنا عليه، و كذلك ليس الهدفُ من «الرسالة» الإقناع أو الدفاع عن فكرة أو أيديولوجية معينة.

قد تبدو بعض المقاطع من «رسالة» نموذجية، تافهة و سطحية أو ذات أهمية ثانوية. إنه لخطأ جسيمٌ قراءة هذه المقاطع بإهمال متعال.

«الرسالة» أصلاً، ليست كتاباً كتلك الكتب الموجّهة لعموم من يقرأ ! تلك الكتب المفتوحة بشكل كامل و مستمر و متجانس و مفهوم لأيّ أحد. الفرق بينها و بين «الرسالة» هو أنّ وضوح الرسالة هو كذلك دائم و لكنه متناسب مع مستوى القارئ. فثمة مقاطع يُمكن لأيّ أحدٍ أن يفهمها، و مقاطع أخرى لا يفهمها إلا من هو أهلٌ لها، و في ذلك رأفة و حكمة.

يتألف نص «الرسالة» من سلسلة من الملاحظات و رؤوس الأقلام و الإشارات.

الجمل و الكلمات ليست سوى مفاتيح للذاكرة، إنها ليست مكتوبة لِتُعبِّرَ و تُفصِحَ عن نتائج نهائية. إنها مجرّدُ محطاتٍ للشرح و التعليق في التلقين الشفهيّ و كذلك محطات للتأمل و التفكر. أصلاً، يجب قراءة «الرسالة» في حضرة الشيخ العارف.

لي صديقٌ شاب على مستوى عال من الذكاء و الثقافة العامة الإسلامية. كان يطلبُ العلمَ بين يديّ أحد الشيوخ الذي عرضَ عليه يوماً أن يقرأَ كتاباً بسيطاً في التوحيد والتصوّف؛ هذا ما فعله صديقي و عاد إلى شيخه فخوراً بقراءته الكتاب في ليلة واحدة و باستعداده لدراسته و مناقشته مع الشيخ ! !

لم يحدثْ شيء من هذا القبيل، لقد طلبَ منه شيخه و بكل بساطة أن يعيدَ قراءة الكتاب و يعود إليه. امتثل و عاد و حصل نفس الشيء، سأله شيخه: هل قرأت الكتاب؟ قال: طبعاً

وكان منتظراً أن يفتحَ موضوعه و لكنّ الشيخ كان يكتفي بأن يقول: عُدْ و اقرأه مرة أخرى. لقد تكرّرَ ذلك ثماني عشرة مرة، و صديقي لما تعلمه من أدبٍ لا يسأل و لا يعترض و لا يستفسر و تغلبُ ثقته بشيخه حيرته. لقد أمره الشيخ أن يقرأ الكتابَ المرة تلوَ الأخرى إلى أن شعرَ أنَّ مريدَه قد بدأتْ تتحصّلُ لديه رؤية كلية للموضوع و لم يحدث ذلك إلا بعدَ ثماني عشرة مرة من القراءات المتأنيّة، عندها قرأ صديقي الكتاب في حضرة شيخه و كان قد أوشَكَ على حفظِهِ غيباً.

لقد اكتشفَ من خلال المناقشة مع الشيخ أنه كان مغروراً و مدّعياً عندما ظنَّ نفسه قد فهِمَ بعد القراءة الأولى. حتى بعد ثماني عشرة مرة لم تكن لديه سوى فكرة سطحية عن المحتوى العام للكتاب. لقد اكتشفَ أنّ عباراتٍ و حتى جملَ كاملة، مرّ عليها دونَ أنْ يعيرها انتباهاً، كانت أساسية وكانت تحتاج إلى شرح طويل. عندها بدأ يكتشف أنّ كلّ كلمة و جملة في النص تكمّلُ و تفسّرُ الأخرى.

ينبغي النظر إلى كلّ شيء يردُ في النص نظرة شمولية بانتباهٍ شديدٍ للتفاصيل. التفاصيلُ تكوّنُ الكلّ و الكلُّ يعطيها معناها.

لقد فهِمَ كم كان تناوله للكتاب متسرعاً و ينقصه الذكاء، و كم كان فهمه سطحياً وكم كانت استنتاجاته محدودة و مغلوطة.

لقد فهِمَ أنّ الاستنتاجات النهائية و المعرفة الحقيقية التي في الكتاب لا سبيل لإيجادها في قواقع و جثث الكلمات، و إنما هي موجودة أصلاً في عقل المريد حيث تُرفَعُ الحُجُبُ عنها الواحد تلوَ الآخر.

إنكار الذات

لقد كانت هذه التجربة بالنسبة لصديقي إهانة قاسية لغروره كرجل ذي ثقافة عصرية عالية و شاملة.

لقد رأى ابن العربي بابين: واحد كبير مغلق و قد تجمهر أمامه جمعٌ غفيرٌ فيصعب على المرء الاقتراب من ذاك الباب لكثرة من تجمهرَ؛ أما الباب الثاني فلم يكن أمامه أحد مع أنه كان مفتوحاً، و لكنه كان صغيراً جداً بحيث يُضطرُّ المرءُ أن ينحنيَ ليمرَّ منه.

علمَ ابن العربي أنَّ هذين البابين هما بابا الوصول؛ باب العز، و باب الذل.

لا أزال أتذكر كيف أنَّ أحدَ أتباع الشيخ الأكبر روى لي هذه القصة في مصلى الجامع الأمويّ بدمشق.

في الحقيقة كان بابُ العزّ مغلقاً لأنه لم يكن ثمة أحدٍ من هؤلاء المتزاحمين عليه عزيزاً حقاً. لم يكن هناك أحد عند باب الذل المفتوح، لأنّ القلائل الذين يعلمون ما هو الذل الحقيقيّ؟ وَلِمَنْ ينبغي أن يكون، قد سبقَ أن دخلوه لأنهم علموا أنّ الذل الحقيقيّ هو نكران الذات.

أحدُ أعظم الحُجُب التي تحجبُ المرءَ عن الحقيقة و تعمي بصيرته هو حجابُ الأنا الأنانية و المركزية (أي الأنا التي تعتبرُ نفسها مركزاً لكلّ ما حولها).

لقد فهمَ صديقي أنَّ المقصدَ ليس إلصاق عناصر ميتة من المعرفة على ذهن متفسّخ، إنما المقصد هو إحداثُ تطهير عميق و يقظة.

روى لي أحد أصدقائي، وهو بروفسور مجاز في الرياضيات العليا من الـ(Ecole Normale Supérieure) كيف بدأ يفكر في قيمة الرياضيات الأكاديمية في حياة الإنسان و في ترّقيهِ باتجاه الحقيقة، بدأ يفكر بذلك عندما رأى مرة أحد أفضل أساتذته يتصرّفُ في محاضرته كما يتصرّفُ أحقر العوام في أقبح غضب.

لقد كانت معرفته الميتة من جهة، و كانت نفسه من جهة أخرى. معرفته الميتة لم تكنْ سوى جسداً بلا روح.

إنَّ الحالة هذه كحال غريق يستصرخُ فترميهِ بموسوعة علم السباحة التي هو ألَفَها من قبل.

لذا في المستويات العليا لا يمكنُ الفصلُ بين المعرفة و التربية.

نقطة و دائرة

بالنسبة لمن يقرأ «الرسالة، بعقلية حديثة، قد تبدو أنها أمور مشتّتة و غير متماسكة، مكرّرة أو متناقضة و لكنها في الحقيقة نظرة شاملة كليّة و كونية للموضوع.

يعي العارفون أنّ المعرفة واحدة مثل نقطة و هذه النقطة مثل دائرة لا حدود لها.

نظرية «الجيشتالت» gesthalt تساعدنا على فهم طريقتهم[1].

افترضْ أنّ لديك دائرة، ونقطتين، وخطّين صغيرين.

إنْ قيل لك: إنّ النقطة تمثلُ عيناً، فسوف يكون ذلك بالنسبة لك مدعاة للشكِّ و الارتياب إنْ لم يكن للرفض. و لكننا لو رتبنا العناصر الـ 5 السابقة لنجعلَ منها رسماً مبسّطاً لوجه، فسوف يأخذُ كلّ عنصر معنىً بالنسبة للكلّ، و سيساهم بنفس الوقت بإعطاء معنىً لبقية العناصر و للكلّ الذي بدوره يعطيه معنىً.

لنفهمَ نصوصهم يجب علينا تناولها بطريقة «جيشتالتية».

في بعض كتاباتهم قد تجدهم يقولون مثلاً: «انظر إلى يدك كيف لها 5 أصابع».

يجب في الحقيقة اعتبار هذه الجملة، التي تثيرُ الأعصاب ضمن المفهوم العام للرسالة، كإشارة دالةٍ و كعنصر من كلٍّ معبر.

هذه هي النقطة الأولى.

النقطة الثانية هي أنهم يريدون أن يعيدَ المريدُ النظرَ فيما يدّعي معرفته ليرى ما لا تراهُ عين العادة العمياء و الناعسة و المحجوبة.

فالعادة غشاوة تحجبُ البصيرة.

في الحقيقة جملة مثل، انظر إلى يدك، المقصد منها هو توجيه التأمل و التفكر. إنّه ما يسمّونه «الإشارة».

«انظر إلى يدك **كيف** لها 5 أصابع»

مفتاح هذه الجملة هو كلمة كيف.

اليدُ بحرٌ من العلم.

---

(1) راجع تعريف الجيشتالت صفحة (173)

إنهم لا يريدون أن يضيعَ المريدُ و يغرق فيه، إنهم يريدون توجيهَ انتباهه للتركيز، وبشكل خاص، على جانبٍ من رمزية الأصابع الخمس، كشاهدٍ من مرجع أساسيّ يستشهدون به ويرفدُ موضوعهم.

كما يستشهد البعضُ بكتب و مراجع و إنجازات الناس،

فإنّ العارفين يستشهدون بإنجازات الخالق!

الإشارة

الإشارة هي أداة في غاية الرقيّ و الشفافية و هي أساسية في منهج و أسلوب التعليم التقليديّ في السلوك إلى الحقيقة، ذلك التعليم الذي يعتني بيقظة و تطوّر المريد، كما يعتني بنفس الوقت بالمعرفة التي يتلقاها.

المعرفة التي تُشيرُ إليها إشارة ما، يمكنُ التعبيرُ عنها أحياناً و نوعاً ما و لعله بصريح العبارة. و لكن هذا يعتبرُ إساءة إلى المعرفة إنْ كان القارئ غير أهل و غير مستعدٍ لتلقيها. إنّ ذلك أشبه بإلقاء بذور على أرض ميتة و غير مهيأة أو أشبه بعطاءٍ لأيدٍ مقبوضة. أما في حالة شخص مهيأ و أهل للتلقي فإن الإشارة تبقى على مستوى أعلى و غير قابل للمقارنة مع صريح العبارة والذي أشبه ما يكون بصُرَّةٍ مُلقاةٍ من نافذة إلى الشارع لأيّ أحد، بناءً على حاجته، قد يُسعدُ بها العاميّ العابر أو يلقي بها جانباً.

الإشارة بابٌ مفتوح.

إنها تحترم الإنسان:

إنها دعوة للدخول من الباب الأساسي إلى المعرفة، وبالتالي يأخذُ كلّ واحدٍ حاجته في كلّ مرة يدخل.

إنّ الإنسان في تغيّر دائم و في أحوال متبدّلة. سبحان مقلب القلوب.

إنه لمِنَ الحكمة، السّماحُ له بأخذِ حاجته في اللحظة المناسبة. إنّ أهمَّ خاصية في الإشارة تكمنُ في آليتها: **إنها تعملُ عندما يكونُ الإنسانُ مستعداً للتلقي.**

في اللحظة التي يفهمُ فيها الإشارة يشعر بشعور خاص للغاية كذاك الشعور الذي ينتابُ الإنسان عندما يتذكر أمراً فجأة، و بوضوح، و كأنه يعيش في الذاكرة.

بهذا الشعور تحيا ذاكرته بتيار من الحياة يصلها بالذاكرة الكونية حيث، هنا و هناك واحد، كذلك قبل والآن وبعد واحد.

ذلك الشعور هو الحدسُ الصافي الحقيقي و الاتصال المباشر بالمعرفة. هذا الشعور هو جزءٌ من الكشف. إنه مختلفٌ جذرياً عن شعور الإنسان في جهدٍ ذهنيّ عنيد. في الجهد الذهنيّ العنيد يسيطرُ التوتّر. يقتضي التوتر وجود صراع بين قوتين متعاكستين. النتيجة قبض.

أي تماماً عكس النتيجة المرجوّة من البسط.

البسط هو الذي يخوِّلُ المرءَ التلقي.

يُعَلَّمُ المريد أنّ غصبَ و جبرَ الفهم عبث. عبثٌ كمن يحاول وضع البحر في حفرة على شاطئه. إنه ببساطة، ينتظرُ ريثما تثمرُ جهوده على نفسه فيتطور و يرتقي إلى المستوى المطلوب للفهم.

بمنتهى إنكار الذات، يجنّدُ المريدُ ذاتَهُ بالكلية و جميع قواه في نفس الاتجاه، ألا و هو اتجاه البسط.

مع الأسف، قلة من الحجاج يُدركون معنى الطواف.

يُعَلَّمُ المريدُ أن:

«**جواباً على سؤال لم تطرحه، لا قيمة له و لا معنى بالنسبة إليك ما لم تطرح السؤال الصحيح و ما لم تكن أهلاً لتلقي و لحمل الجواب الذي كنتَ تبحثُ عنه**».

المعرفة الحقّ هي أسئلة و أجوبة تساعدنا على تحويل أنفسنا. يقتضي التحوّل مفهوم القبلية و البعدية، لذا نحن في هذا العالم، عالم الزمان و المكان.

... ينبغي على كلّ أحدٍ في خطواته الأولى على طريقه نحو دائرة المعرفة المركزية، أنْ يكونَ قد تأمل واعتبرَ من قصص سيدنا آدم ـ إبليس، ابني آدم، يوسف وإخوته كما طُرِحَتْ في القرآن الكريم.

إنّ فهم و إدراك و استيعاب الفكرة الأساسية في هذه القصص، خطوة من الخطوات التي لا غنى عنها في الطريق نحو المعرفة.

هذه الآن الرسالة والتي موضوعها: **رسالة في الوفق المثلث و علاقته بالصلاة** وهو موضوع شاسع.

الرسالة مختزلة للتركيز على تراثٍ يخص الهندسة المقدّسة كادَ أنْ يندثرَ و ذي علاقة وثيقة بعلم الرقم و كذلك بما في الصلاة من علوم. كلّ من هذه الثلاث يعبّرُ عن حقيقة واحدة لا يمكنُ للعبارات و الكلمات التعبير عنها.

الهندسة المقدّسة علمٌ مركَّزٌ يمكنُ أن يكونَ أساساً للبحث النظريّ و التأمليّ وكذلك أساساً للتطبيق العمليّ.

التطبيق العمليّ ينبغي ألا يستندَ إلى مرجع مكتوب لوحده، هذا غير كافٍ و غير مُجدٍ، أو قد يكون في غاية الخطورة.

في الحقيقة هذه الرسالة هي نوع من تعريف يبين بشكل هندسي و رقمي أهمية الصلاة كركن من أركان الإسلام وكيف بنيت بشكل منضبط، وأن كل حركة فيها وكل تفصيلة لها أسسها و ضوابطها التي تسير مع نظام كوني أوجده خالق السموات و الأرض سبحانه.

رسالة في الوفق المثلث
وعلاقته بالصلاة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾
قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾
وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾
قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾
قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾
فَٱنطَلَقَا ﴿٧١﴾﴾

[سورة الكهف: 18/ 66-71]

«إن جواباً عن سؤال لم تطرحه لن يكون له معنى بالنسبة لك حتى تطرح السؤال الصحيح و تكون أهلاً لتلقي و حمل ذلك الجواب الذي كنتَ تبحث عنه».

ليس الهدف من الرسالة إعطاء شرح مسلكي بل التنبيه إلى ما قد تحويه نصوص مكثفة من كمٍّ هائل من المعلومات، وإعطاء بعض المعلومات الأساسية التي لا غنى عنها والمستخدمة في التعليم الشفهي،هذه المعلومات ضرورية لتناول صحيح و دراسة دقيقة للصلاة.

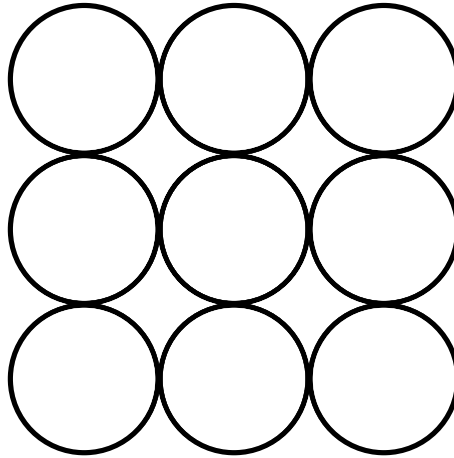
الوفق المثلث

4	9	2
3	5	7
8	1	6

الوفق المثلث هو أفضل وأكمل تجلٍّ بصري للأرقام لـ 9 و الصفر الممثل من قبل 5، حيث تجتمع هذه الأرقام بأكثر ما يمكن أن يكون من التركيز والتماسك والاختزال.

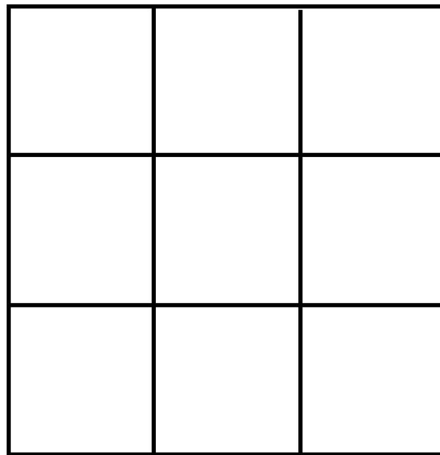
لنفكر تفكيراً هندسياً ثنائي الأبعاد، و لنفترض أن كل رقم من الأرقام الـ 9 يحتل المساحة الأكثر تماسكاً أو انكماشاً: و هي الدائرة. كل رقم يعادل الآخر بالأهمية إننا ننظر إلى الأرقام ههنا كمعانٍ و رموز لا على أنها تمثل كمّاً. إنّ نظرتنا للرقم نوعية و بصرية و ليست كمية.

الآن إن جمعنا هذه الدوائر الـ 9 بالطريقة الأكثر انكماشاً و تناظراً فسوف نحصل على الشكل (1b-1).



الشكل (1b-1)

نجد بين الدوائر فراغات تشكل بالواقع مساحات دخيلة على الدوائر الـ 9. لنلغي هذه الفراغات نتصور أننا نضغط الشكل الحاصل لدينا بالتساوي من كل جانب ليكون و بشكل متناظر أكثر انكماشاً. إنّ ما نحصل عليه هو مربع مقسم إلى 9 مربعات داخلية كل منها لرقم. الشكل (b-1).



الشكل (b-1)

إن رتبنا توزيع الأرقام في هذا الشكل بناءً على قواعد علم الأوفاق فسوف نحصل على توزيع وحيد لا ثاني له. (يمكن رؤيته من 8 جهات مختلفة كما هو الحال لأيّ وفق رباعي الإطار و بحيث يكون مجموع أرقام أي سطر أو أي ضلع = 15). كون هذا الترتيب الذي حصلنا عليه وحيداً فإنّ ذلك يعني أنه بضرورة الحال في غاية الكمال. و ذلك لكون الوحدانية و الكمال كلاهما وجه للآخر. الشكل(1).

4	9	2
3	5	7
8	1	6

الشكل (1)

إن أرقى و أبسط و أقرب طريقة لتناول الأرقام بشكلها البصري هي في الوفق المثلث أما المعرفة المتسامية و اللامحدودة الموجودة في الوفق المثلث فإنها تثير الدوار.

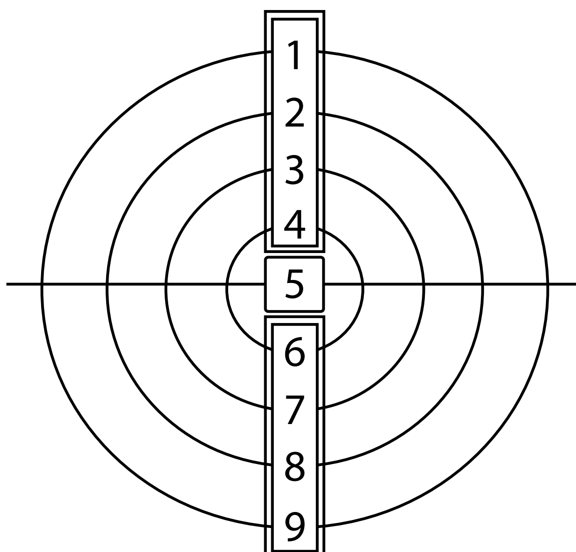
لنتصور الـ 9 أرقام التي هي مع 0 الأبجدية المكونة لعلم الرقم.

5 هي الرقم المركزي، إنها صلة الوصل بين:

عالم (1، 2، 3، 4) و

عالم (6، 7، 8، 9).

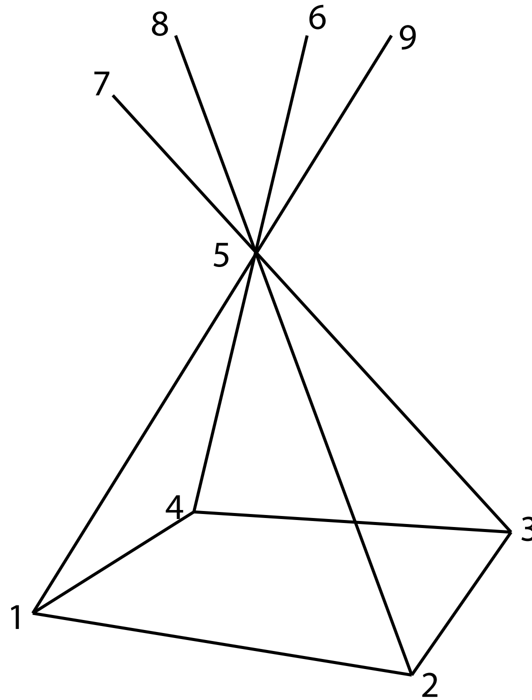
كما في الشكل التالي:



تصور هرماً نقاطه الأربعة الركنية تمثلها الأربعة الأرقام من أحد العالمين.

إن مددت أضلاع هذا الهرم فسوف تتلاقى عند [5] و تكوّن هرماً آخرَ لامحدود «ينتهي» في اللانهاية عند أربع النقاط الأخرى التي تمثل الأربعة أرقام الأخرى من العالم الآخر. انظر إلى إنسان، انظر إلى نفسك، سوف تفهم.

تصور أنّ حواف أو أضلع هذين الهرمين الممتدة إلى اللانهاية، هي أجزاء من دوائر لانهاية لها.



الإنسان هو أعلى درجة في الخلق و حصيلة له، و بالتالي صورة للمعرفة ألم يخلقه الله سبحانه وتعالى على صورته[1]:

كِلا الإنسان و الوفق المثلث تمثيل للمعرفة، و بالتالي يمكننا أن نقول: إنه يمثل الواحد منهما الآخر.

(1) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبْ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ». (صحيح مسلم: 4731).

إنهم يقولون: إنّ الـ 0 الممثل بالـ 5، و الـ 9 أرقام حاوية على المعرفة كاملة.

هذه الأرقام هي أعلى درجات المعرفة و هي كذلك حصيلة لها، و هي تتجلى في وفقنا المثلث.

إنّ مجموع الـ 9 أرقام التي تمثل الوفق المثلث و الذي بدوره يمثل الإنسان و الذي بدوره يمثله آدم هو محتوى الـ 9.

محتويات (9) = 1+2+3+4+5+6+7+8+9 =45 [1]

محتويات (9) = 2/ (9+9^2) = 2/ (1+9)×9 = 2/ 10×9 = 9×5 = 45

عبارة آدم بحساب الجمّل تعطينا:

ا =1

د=4

م=40

حصيلة آدم هي 45 كما هي حصيلة الوفق المثلث.

حصيلة أي ضلع عمودي أو أفقي أو حتى الوتر في الوفق المثلث هو 15.

15 هو ببساطة حصيلة الأرقام على **ضلع** من أضلاع الوفق المثلث.

عندما نعلم أنّ الوفق المثلث يمثل آدم لن نكون مندهشين أنّ حواء:

خلقت من ضلع آدم 45.

حواء بحساب الجمّل؛

ح = 8

و = 6

ا = 1

حواء = 15، و 15 هو من ضلع من 45 = آدم. أحرف حواء هي بطبيعة الحال مجموعة في ضلع من أضلاع الوفق.

(1) راجع تعريف محتويات عدد صفحة (175)

إنّ العارفين يعلمون هذه الحقيقة و أحدهم أشار إليها في أحد كتبه في نوع من استطراد عابر و في أقل من سطر.

15 = 5 المركزية × جذر الـ 9

45 = 5 المركزية × 9 النهائية.

لقد ذُكر اسم آدم في القرآن 25 مرة بحيث:

5^2 = 25 مرة اسم آدم.

4^2 = 16 مرة آدم نفسه.

3^2 = 9 مرة بنيه أو ذريته.

انظر إلى يديك وكأنك تراهما لأول مرة. إنهما سجل لحياتك وصورة مختزلة لجسدك وأعضائك، إنهما تمثلان نفسك كما أنك تمثل جماعة.

إنهما تحتويان على المقاييس والنسب الكونية. إنهما تحتويان على النسبة الذهبية[1] التي تتجسد في المضلع النظامي ذي الـ 5 أركان.

إنهما شكل بياني وصورة لأحرف الأبجدية الـ 28، وكذلك لمنازل القمر الـ 28.

إنهما 4/ 11 أو 2/ 7 من التاروت لأنهما تحملان وتمثلان 28 ورقة لليدين. وللقدمين الـ 28 ورقة الأخرى، وللرأس الـ 22 ورقة الكبرى. يكفي أن ننظر إلى العظام؟[2]

وبالتالي 56 ورقة لـ 4 أعضاء (يدين وقدمين)

و22 ورقة للخامس 1 (الرأس).

4 + 1 = 5 الخامس، 56 + 22 = 78

78 ورقة تقابل 78 حرفاً هي فواتح القرآن. هؤلاء الـ 78 حرفاً هم 14 حرفاً، نصف الأبجدية. هؤلاء الـ 14 مجموعون في اليد اليمنى التي تمثل الـ 4 أماكن المقدسة الأزلية والخامس الذي تقدس بوجود الإنسان الكامل فيه.

اليد اليمنى تعطي مثلث العارفين مشروحاً بما سبق،

اليد اليسرى تكمل الشرح؛ وذلك بعمليات المقارنة والمقابلة.

إنهما تمثلان علم.

ألا ترى كيف أن عبارة يد تعطيك 14؟

---

(1) راجع تعريف النسبة الذهبية صفحة (175).

(2) راجع تعريف التاروت صفحة (172).

4 و 10 كما في التاورت.

4 و 10 كما في مثلث العارفين[1].

أنت بحاجة إلى مرجع؟ انظر إلى نفسك. ما هو أول شيء يمكنك رؤيته وتأمله بأحسن ما يمكنك أن ترى وتتأمل؟ إن هذا الشيء يمثل نفسك، إنه وسيط في جسدك. كل جزء من جسمك رمزي وممثل ويمكن أن يكون مرجعاً. إياك أن تغوى وتسيء الاستخدام أو تخطئ، لقد أغوى آدم وهو في الجنة!

إبهامك متناسب مع يدك، وكذلك يدك متناسبة مع جسدك، وجسدك متناسب مع ما يحيط به، وما يحيط بنا متناسب مع الأرض، والأرض متناسبة مع الكون...

في النظام الكوني المقاييس والنسب هي أمور أساسية، إن كانت كذلك، فلا بد من حكمة جعلها الله سبحانه في ذلك.

(1) راجع تعريف التتراكسين أو مثلث العارفين صفحة (171)

القرآن الكريم جزء من النظام الكوني بناءً على نظام مقصود غاية في الروعة والتعبير تم جمع آياته الكريمة و حسب الترتيب الزمني للوحي؛ و أخذتْ كل كلمةٍ في القرآن مكانها ورسمها الصحيح بناء على التوجيهات التي تلقاها النبي ﷺ من الحق جل جلاله عن طريق سيدنا جبريل عليه السلام، حيث رتب القرآن في رسالة كلية كاملة التوازن معبرة تعبيراً جلياً وخفياً.

علم الرقم هو أحد المفاتيح الكبرى لفهم صحيح لهذا النظام:

عندما ظهر سيدنا جبريل عليه السلام للنبي ﷺ لأول مرة قائلاً ثلاثاً: ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾، كان الرعب الذي انتاب النبي الأمي أشد ما انتابه في حياته، وكان جوابه في كل مرة من الثلاث أمام غموض ﴿ٱقۡرَأۡ﴾: «ما أنا بقارئ!» إلى أن قال سيدنا جبريل للنبي ﷺ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ...﴾ عند ثاني كلمة من الوحي ﴿بِٱسۡمِ﴾ بدأ طلب سيدنا جبريل يتضح، واتضح بالكلمة الثالثة ﴿رَبِّكَ﴾.

﴿رَبِّكَ﴾ = (200 +020 + 002). (يمكن شرح ذلك بشكل مطول من خلال علم الرقم).

البسملة أول آية بالترتيب في القرآن؛ إنها في الفاتحة.

الفاتحة هي أول سورة بالترتيب في القرآن، والخامسة في التنزيل.

أول سورة كاملة بالترتيب في القرآن هي الخامسة من البداية في الوحي (الفاتحة).

آخر سورة كاملة في الوحي في القرآن هي الخامسة من النهاية بالترتيب (النصر)[1].

كاختزال وتكثيف شديد لمعاني باء البسملة يمكننا أن نقول: وكأنه سبحانه وتعالى يقول فيها: «بي كان ما كان و بي يكون ما يكون».

---

(1) «عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: تَعْلَمُ آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ نَزَلَتْ جَمِيعاً. قُلْتُ: نَعَمْ، إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ. قَالَ: صَدَقْتَ». (صحيح مسلم: 5349).

جميع سور القرآن الـ 114 تبتدئ بالبسملة ما عدا سورة التوبة التي وبشكل عجيب لا بسملة لها. (114 – 1 = 113).

هذه السورة وبشكل ملفت للنظر هي السورة الوحيدة التي تبتدئ أول آية منها بحرف (باء) في قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ ...﴾ مما يجعل جميع سور القرآن تبتدئ بحرف الباء.

تغيير مقصود مع تعويض في نظام كامل ما هو إلا إشارة تتبع.

إن بحثنا عن البسملة المفقودة من أول سورة التوبة فسوف نجدها في سورة النمل. هذه البسملة الوحيدة في القرآن الواردة في نص سورة لا في بدايتها.

تغييرٌ بنفس الوقت معوض و ذي مدلولٍ. ذلك يجعل (113 + 1 = 114) بسملة مثل 114 سورة.

لقد أشار أكابر العارفين إلى قصة سيدنا سليمان في سورة النمل وخاصة إلى بعض النقاط مثل رسالة سيدنا سليمان إلى ملكة سبأ وما يتعلق بعرشها.

لقد أشاروا وبشكل ملفت للنظر إلى الآية (30) من السورة الكريمة و التي تحوي بسملة ضمن سورة وليس أولها.

الـ (باء) هو ثاني أحرف الأبجدية وأولها في الظهور في أعظم بناء مبني بالأبجدية، وأعظم وأعلى مرجع مكتوب، ألا وهو القرآن.

الـ (باء) ثاني أحرف الأبجدية، وهو أول حرف من أول جملة في القرآن البسملة: بسم الله الرحمن الرحيم.

بواسطة سيدنا جبريل أوحى الله جل جلاله القرآن إلى النبي الأمي محمد صلى الله عليه وسلم و ذلك على مدى 23 عاماً على شكل آيات متلاحقة.

محمد = 92 = 4 × 23

وبالتالي أول حرف من القرآن على ما رتب هو «باء».

أول حرف من أول كلمة نزلت في الوحي هو حرف الـ «ألف» (أول أحرف الأبجدية)؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ﴾ من سورة العلق.

بني الإسلام على خمس 5 أركان، أي أن الإسلام بني على المخمس الذي هو خير ما يجسد النسبة الذهبية.

4 أركان مرتبة كما يلي بازدياد أهميتها: الحج، الزكاة، الصوم، الصلاة، هذه الأربعة لا غنى عنها؛ ولكنها غير مجدية بلا «خامس» وهو الأول بالأهمية أعني الشهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

خمسة (5)

من جهة، الحج (والمبني بدوره على 5 أركان)[1] والذي هو على علاقة وثيقة بمكة والحجر الأسود في ركن الكعبة المشتق اسمها من كعب ومكعب، ومن جهة أخرى الشهادة.

(1) أركان الحج عند الشافعية 5 هي: 1 الإحرام، 2 الوقوف بعرفة، 3 طواف الإفاضة، 4 السعي بين الصفا والمروة، 5 الحلق أو التقصير.

العبادات الموحاة من الله تعالى إلى النبي ﷺ وبواسطة سيدنا جبريل عليه السلام مبنية على أسس رقمية ومنضبطة بأعداد و يكفي دراسة إحداها لفهم الباقي.

الصلاة كما هي معروفة أيامنا هذه أوحيت إلى النبي ﷺ في رحلته الليلية الغامضة والشهيرة من مكة عند الكعبة، إلى القدس، إلى أبعاد أخرى.

هذه الرحلة «الإسراء و المعراج» أشير أليها في أول آية من سورة الإسراء، وتُمِمَت الإشارة بعد 35 سورة في سورة النجم.

سورة الإسراء هي السورة رقم 17 وسورة النجم هي السورة رقم 53. إنها إشارة عظيمة.

في هذه الرحلة بلغ النبي ﷺ أماكن لم يبلغها حتى سيدنا جبريل عليه السلام نفسه.

لقد أُوحيَ إلى النبي ﷺ في هذه الرحلة الليلية ما أوحي.

و لعل أعظم ما أوحيَ إليه بالنسبة لحياة المسلمين هو فرض الصلوات و خاصة عدد هذه الصلوات؛ و التي يُقام بها في أيامنا هذه أمام الكعبة، مثلاً، كما أوحيَ إلى النبي ﷺ في عالم آخر.

الصلاة هي الرسالة الإلهية التي حملها لنا النبي ﷺ في الإسراء، وهي رسالة مباشرة أوحاها سبحانه للنبي مخاطباً إياه:

«يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً»[1].

أما بقية الفروض فمن سيدنا جبريل عن الله سبحانه.

في سورة الإسراء يفتتح جل جلاله السورة:

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ومن هذه الآيات الصلاة.

(1) صحيح مسلم: 234.

الصلاة فيها كم من المعلومات هائل يفوق التصور و لا حدود له، يمكن رؤية جانباً منه من خلال الهندسة المقدسة ثنائية الأبعاد و المبنية على أسس رقمية و مجموعة من القواعد الأولية و الأساسية و الكبرى و التي هي على انسجام تام مع غاية و رمزية الوفق المثلث الشكل (1).

4	9	2
3	5	7
8	1	6

الشكل(1)

4	9	2
3	5	7
8	1	6

الشكل (1-a)

الشكل (1-b)

قواعد أولية، أساسية، وكبرى

في الهندسة المقدسة توجد عمليتان متمايزتان إحداهما عن الأخرى، و لا يمكن الفصل بينهما؛ عملية أولى تحدد الثانية:

الشكل (b–1)، الشكل (a–1).

هي أمثلة راقية جداً و نقية للهندسة المقدسة.

هذه الأشكال على انسجام تام مع غاية و رمزية الوفق المثلث. و بالتالي تم القيام بها بناءً على مجموعة من القواعد الأولية و الأساسية و الكبرى فيما يتعلق بالهندسة المقدسة ثنائية الأبعاد.

قواعد أولية:

قواعد أولية مثل:

– استخدام ثلاث أدوات مناسبة كحدٍّ أقصى: أحدها لترك علام، الثانية لإنشاء خطوط مستقيمة، و الثالثة لإنشاء دوائر. (المثلث القائم و المنقلة مثلاً هي أدوات عامية جداً في هذا المجال).

– فقط خطوط الأشكال الثانية، و التي هي خطوط و أشكال محددة الشكل (b–1)، هي خطوط ذات بداية و نهاية.

قواعد أساسية:

من بين القواعد الأساسية المستخدمة في الشكلين (b–1)، الشكل (a–1) يمكنني أن أذكر:

– الوصول إلى الشكل المطلوب بدقة مطلقة و بأقصى حدٍّ من البساطة و الاقتصاد في العمليات بحيث لا يمكن الاستغناء عن أيّة خطوة، و بحيث لا يوجد أيّ طريق لإنشاء الشكل أقصر و أبسط و أدق.

إنّ هذه القاعدة الأخيرة تجعلنا نحصي أية خطوة هندسية في عملية هندسية ما لنقرر أيها الأقصر و الأبسط و الأدق. هذا التعداد يعطينا أعداداً نهائيةً و معبرة لخطوط، ودوائر، ونقاط تقاطع. هذه الأعداد هي عناصر القواعد الكبرى في الهندسة المقدسة.

....

قواعد كبرى:

الأعداد هي أعلى درجات المعرفة و كل شيء مرتب عليها. و بالتالي الأعداد هي الميزان الأكبر و النهائي الذي يقرر إن كان ثمة هندسة مقدسة أم لا، و ذلك من خلال خصائص الأعداد و معانيها في قواعد التوافق و القياس و المقارنة و التوازن ... إلى آخر ما في ذلك من قواعد علم الرقم و أصوله.

استناداً إلى ما تلقيته، فإنّ رسماً في الهندسة المقدسة لا يمكن أن يخترعه إنسان؛ ذاك الرسم موجود أصلاً، لأنه تجلٍّ للحقيقة الأزلية.

إنّ رسماً من رسوم الهندسة المقدسة هو في الحقيقة مكشوفٌ– ممنوح – مقدّم للإنسان، مباشرة من المصدر الأعلى.

إنّ رسماً كهذا، و الذي تتوفر فيه شروط الهندسة المقدسة، يمكن استخدامه في الدراسة النموذجية لدرجات عالية من المعرفة المكثفة.

هذا الرسم، عندها، يكشف رسالته أو محتواه من خلال استقراءٍ نبيه و مفصّلٍ لإنشائه خطوة بعد خطوة. كل حركة و عملية و خطوة و حتى كل نقطة تقاطع، كل شيء مسجل و كل حركة لها علاقة بالعمل، كل ذلك جزءٌ معبرٌ من رسالة كلية. يجب دراسة هذا كله بالتفصيل من

خلال العلاقات الداخلية بين الهندسة المقدسة و علم الرقم و بمساعدة العبادات الصحيحة و النقية و الموحاة من الله تعالى، و كذلك بمساعدة الخليقة التي هي وجه أو تجلٍّ – هي و العبادات و علم الرقم و الهندسة المقدسة – لنفس الحقيقة الواحدة.

في دراسة الهندسة المقدسة تكون مصادر الوحي الصافي الحق مثل القرآن و الحديث الصحيح و العبادات (مثل الصلاة و الحج) مرجعاً يفسِّرُ و يُفسَّرُ.

عالم الخليقة المبني على نفس القواعد المعتمدة في علم الرقم و الهندسة المقدسة والوحي، يساعد كثيراً في تقديم فهمٍ أقرب إلى الأذهان و ملموس أكثر لمفاهيم غايةً في التجرد و الكثافة كالأرقام.

التعامل مع الرقم يحتاج إلى فهم عميق لما يعنيه، لما يشير إليه ولما يحويه من خصائص.

هذا الفهم يتم بلوغه و تطويره و تنميته خلال سنوات أخذاً من المصدر المباشر للمعرفة أو من خلال تعليم شفهي ليس سوى مدخل و دليل لذلك المصدر المباشر.

هذا الفهم للرقم لا يمكن الحصول عليه قطعاً من خلال المصادر المكتوبة وحدها.

إنّ تحديداً لمفهوم الرقم بكلماتنا العادية هو مغالطة و تفاهة، بقدر ما هو من المغالطة والتفاهة تحديد اللامحدود، و هو هتكٌ و تجرؤ مثل الطلب من الأعلى النزول في الأدنى.

لنسمع الفصاحة الصامتة لرقم يجب أن يتم تناوله بانتباه، وصمت مليء بالاحترام.

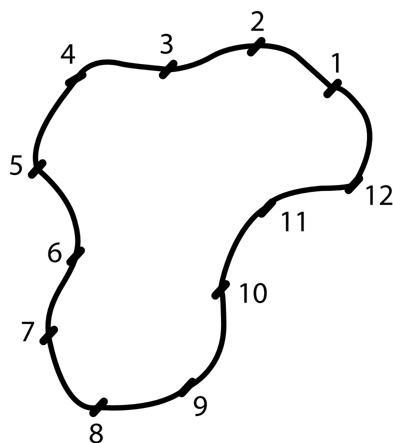
إنّ عالم الخليقة المتجلي هو وسيلة فهم تمهيدية وأولية و كذلك نهائية في تناولنا للرقم.

الوحي (قرآن، حديث، عبادات) و الهندسة المقدسة، هي مستويات أعلى لفهم الرقم.

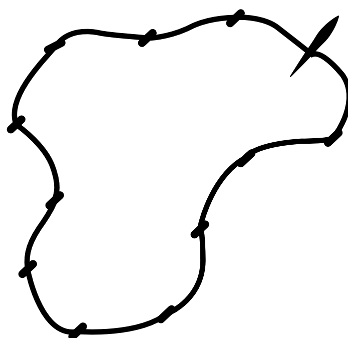
فقط الأرقام هي أهلٌ تماماً لتفسير الأرقام من خلال علاقاتها الداخلية، توافقاتها، تشابهاتها...

خطوات تحضير رسم الوفق المثلث:

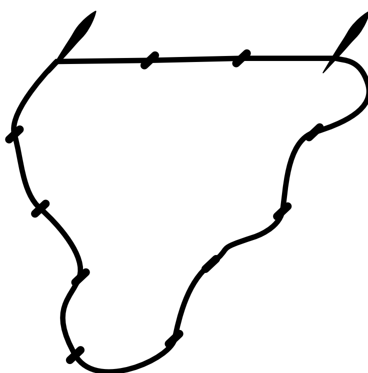
خذ الحبل الدائري ذات 3+4+5 = 12 عقدة.



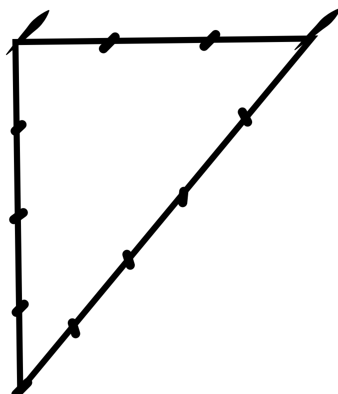
الخطوة 1: ثبت عند العقدة 1 .



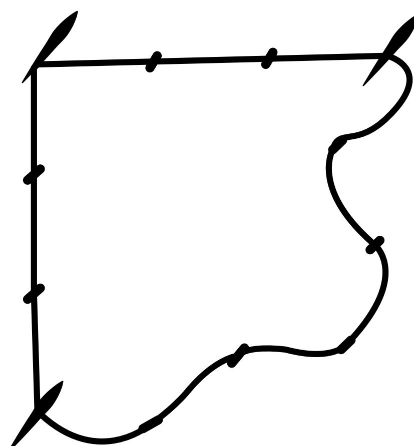
الخطوة 2 : عد 3 عقد اسحب الحبل ، ثبت.



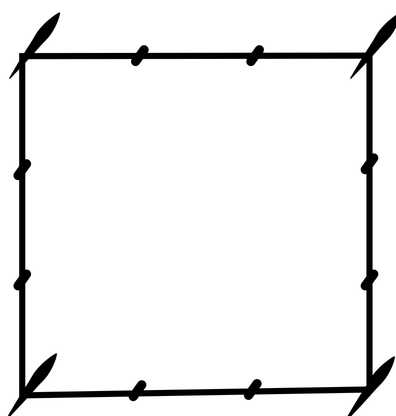
الخطوة 3 : عدّ 4 عقد اسحب الحبل، تحصل على مثلث 5.4.3 ؛ لا تثبت عند 4.



الخطوة 4: ثبت عند العقدة 3.



الخطوة 5 : عدّ 3 عقد اسحب الحبل، ثبت.



في 5 خطوات تحضير حصلنا على الـ 12 نقطة التي نحتاجها والتي بدورها تعطي الوفق المثلث.

الخطوات الـ5 التي قمنا بها للحصول على الشكل (1-b)، هي ضرورة بناءً على ما ذكرناه من القواعد الأساسية في الاقتصاد الأقصى في عملية الإنشاء الهندسي للوفق المثلث.

كون هذه الخطوات 5، فإنّ ذلك يجعلها على انسجام و توافق تام مع الدور الأساسي للرقم 5 في الوفق المثلث.

قبل دراسة الشكل (1-b) و الرقم 5 بالتفصيل، إنه لمن الضروري معرفة دور هذه العملية في عملية الإنشاء الهندسي الكلية للوفق.

(أي إننا سنطبق الجيشتالت لنفهم العلاقة المتبادلة بين الجزء و الكل).

هذه الخطوات التحضيرية الـ 5 جعلت جميع الخطوات الباقية ممكنة للشكل (1-b) والشكل (1).

الوفق المثلث 8 قطع مستقيمة و 9 أشكال (أرقام أو أحرف)، أي 17 عنصراً.

عرض هذه الحقائق وسيلة أولية من وسائل التحقق للتأكد من توافق العمل مع بعض أهم أسس النظام الكوني. و ذلك قبل أيّ دراسة عميقة كدراسة الشكل (1). دراسة كهذه تعطي فكرة عن مثال نقي و عالٍ جداً في الهندسة المقدسة.

الشكل (1) تألف من 5 خطوات تحضير.

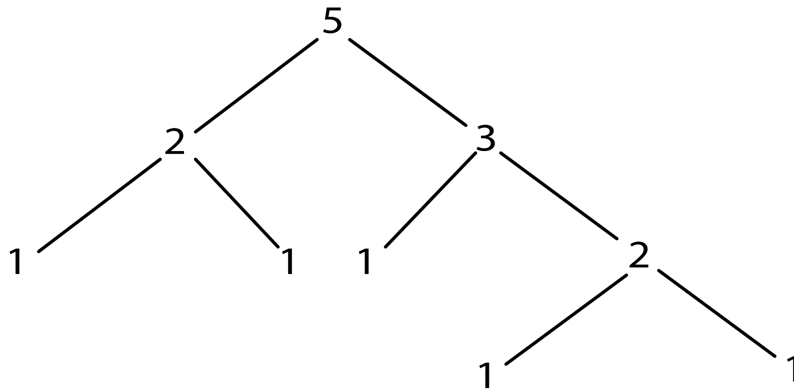
الخطوة الـ5 ذات أهمية عظمى، خاصة أنها تتوافق كل التوافق مع الأهمية البارزة للرقم 5 المركزي في وفقنا. برحمة من عنده تعالى الإشارات ممنوحة لتدلنا. كل شيء يدعو إلى تَتَبُّع الرقم 5 و دراسته.

لن أتوقف عند الدور المعروف لـ5 في PHI (النسبة الذهبية)، أو عند خصائص أخرى للرقم 5.

أود فقط التركيز على أسلوب تناول رقمي تلقيته برحمة من الله تعالى، فمنذ 450 قبل الميلاد كان من المعلوم لدى الفيثاغورثيين أن الـ 5 توصل إلى الـ 17 إلا أن هذه المعلومة قد ضاعت ولم يعد يعرفها أحد و أصبحت لغزاً، هذا ما قاله لي أستاذ في إحدى الجامعات العالمية التي تدرس الهندسة المقدسة عندما أطلعته عليها.

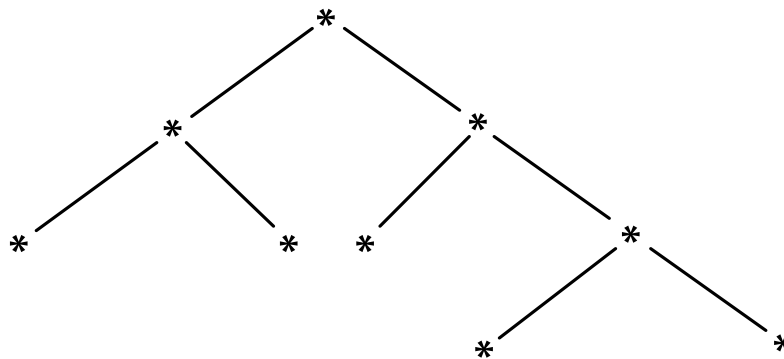
هنا عملية في غاية الأهمية، ومعبرة بشكل يفوق التصور تحل هذا اللغز. يمكن القيام بها بطرق مختلفة غير هذه التقليدية:

نقسم الرقم المدروس إلى أقرب قسمين له بلا كسر، نقسم الرقمين الحاصلين بنفس الطريقة السابقة، و نتابع العملية على الأرقام الحاصلة إلى أن نصل إلى الواحد.



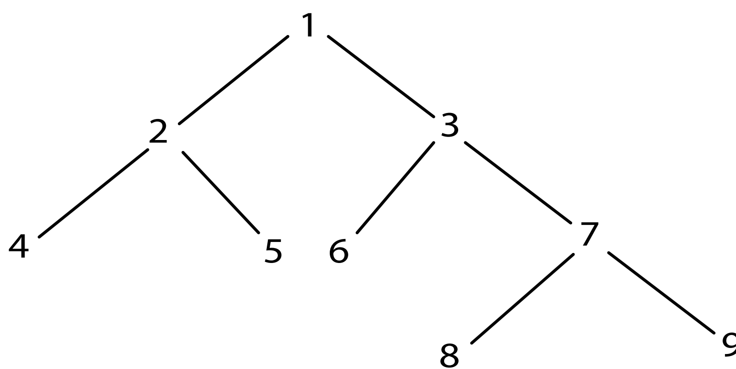
الشكل (5A1)

إن بدلنا الأرقام التي في الشكل (5A1) بنقاط، فسوف نحصل على الشكل (5B) الذي يحوي على 9 نقاط و 8 خطوط وصل. أي: 9+8= 17 عنصراً.



الشكل (5B)

لنعطِ كل نقطة من الشكل (5B) رقماً كما هو في الشكل (5c):



الشكل (5C)

الشكل (5E)		الشكل (5D)
5		5 = 5
3		3 = 3
2		4 = 2 + 2
1		5 = 1 + 1 + 1 + 1 + 1
11	....	17

الشكل (5E) الشكل (5D)

الأرقام المستخدمة في الشكل (5A1) هي:

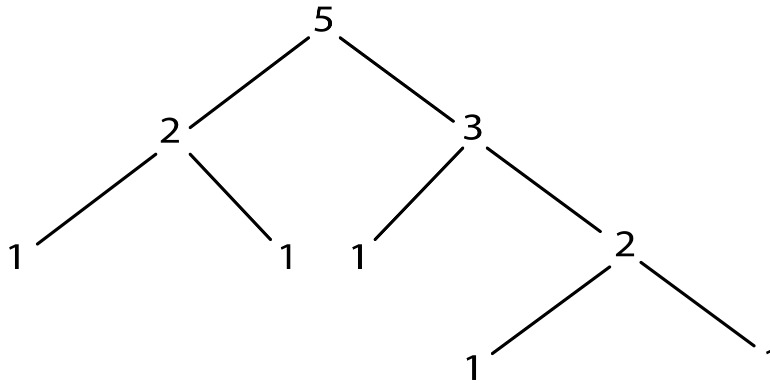
5، 3، 2، 2، 1، 1، 1، 1، 1 و مجموعها 17. كما هو مبين في الشكل (5D)،

الأرقام المستخدمة في الشكل (5A1) و غير مكررة هي:

5، 3، 2، 1، و مجموعها 11، كما هو مبين في الشكل (5E).

الأشكال (5A1، 5B، 5C، 5D، 5E)، تم الوصول إليها و كل واحد استنتج و تولد من خلال منطق بسيط و واضح، و بناءً على قواعد تشكِّل بحدّ ذاتها عالماً متماسكاً و مستقلّاً. ولكنها تجلٍّ للحقيقة كما هو الحال بالنسبة للشكل (1) والذي تم الوصول إليه بمنطق بسيط آخر وقواعد أولية وأساسية وكبرى.

إحدى العبادات الصحيحة التي وصلتنا نقية مباشرة من مصدر الوحي تؤكد عملنا تُفسِّرُ و تُفَسَّر:



الشكل(5A1)

كما الشكل (5A1) الصلاة من أركان الإسلام الـ 5، توجد:

5 صلوات مفروضة يومياً:

2 صلاة في ضوء الشمس:

1 صلاة و هي صلاة الظهر (التي يبدأ وقتها في منتصف النهار)

1 صلاة وهي صلاة العصر (التي ينتهي وقتها في آخر النهار).

3 صلاة في غياب الشمس:

تلك الـ 3 هي:1 و 2.

1 صلاة وهي صلاة العشاء وتشترك مع صلاة الظهر والعصر بركعاتها الـ4؛ لذا كانت صلاة العشاء على نفس السطر الذي توجد عليه الـ 1 الأخريين ظهر- عصر ولم تكن معهم لأنها ليلية و منها ما هو جهري.

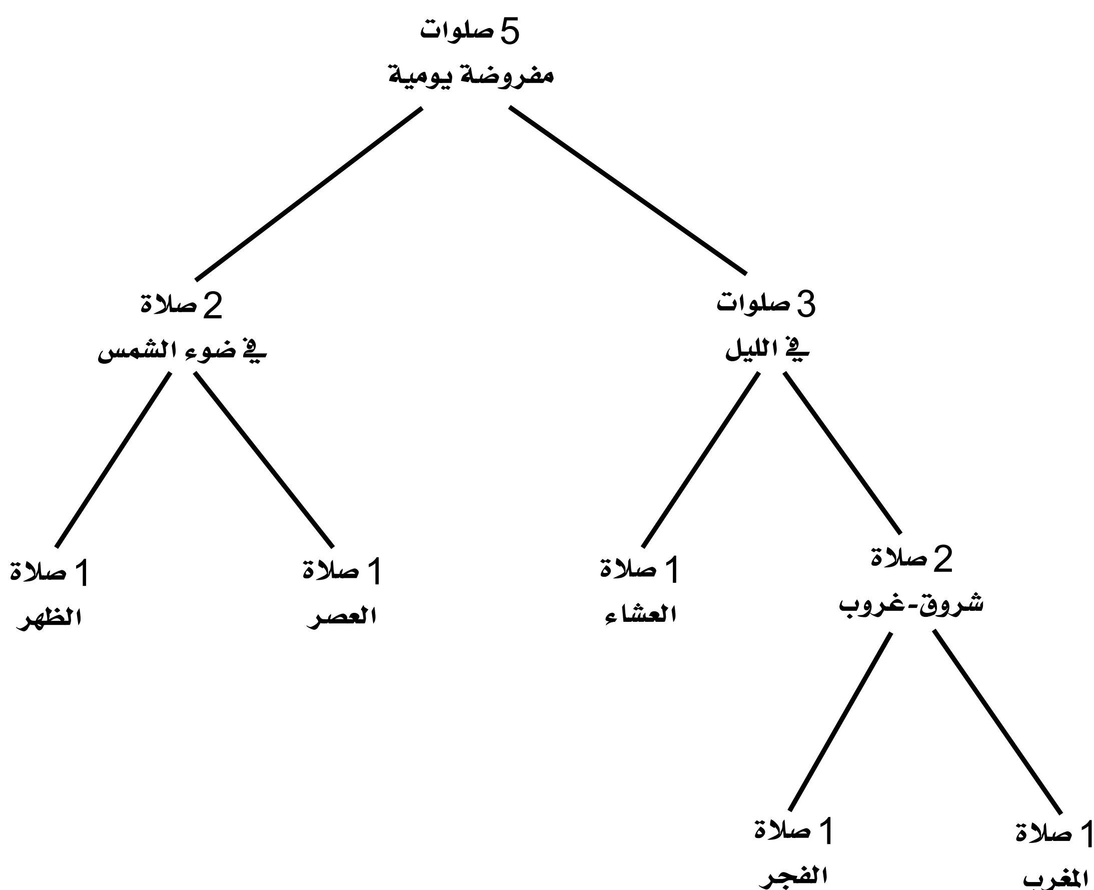
2 صلاة هي المغرب و الفجر.

هاتان الصلاتان تشتركان بنقطة وبالتالي يمكن جمعهما منطقياً في المجموعة نفسها، هذه النقطة المشتركة تكمن في وقت القيام بهاتين الصلاتين و الذي تحدده الشمس:

يبدأ وقت صلاة المغرب **بمغيب** الشمس، و لكمال التوازن:

ينتهي وقت صلاة الفجر **بشروق** الشمس.

وكما هو جلي في الشكل (5-A2)



الشكل(5-A2)

إلى هذه النقطة يمكن أن يكون ما سبق مجرد مصادفات عجيبة و لا أكثر.

و لكن دراسة مفصلة و أعمق تعطينا تأكيدات مطلقة بأن العلاقات و التوافقات بين الهندسة المقدسة و علم الرقم و العبادات الحقيقية هي علاقات حقيقية وغاية في الكمال، لأن كلّاً من الثلاثة المذكورة تجليات لنفس الحقيقة الواحدة.

كما في الوفق المثلث هناك:

8 خطوط و 9 خانات لـ9 أرقام الشكل (1-b)

كذلك في الشكل(5B) 9 نقاط و 8 خطوط

إن تابعنا و قارنا الأشكال (5B، 5C) فسوف نجد أن:

النقطة 1 تعطي:

1 فرض صلاة يوم

النقطتين 2،3 تعطيان:

2 فرض في ضوء الشمس – 3 فرض في غياب الشمس

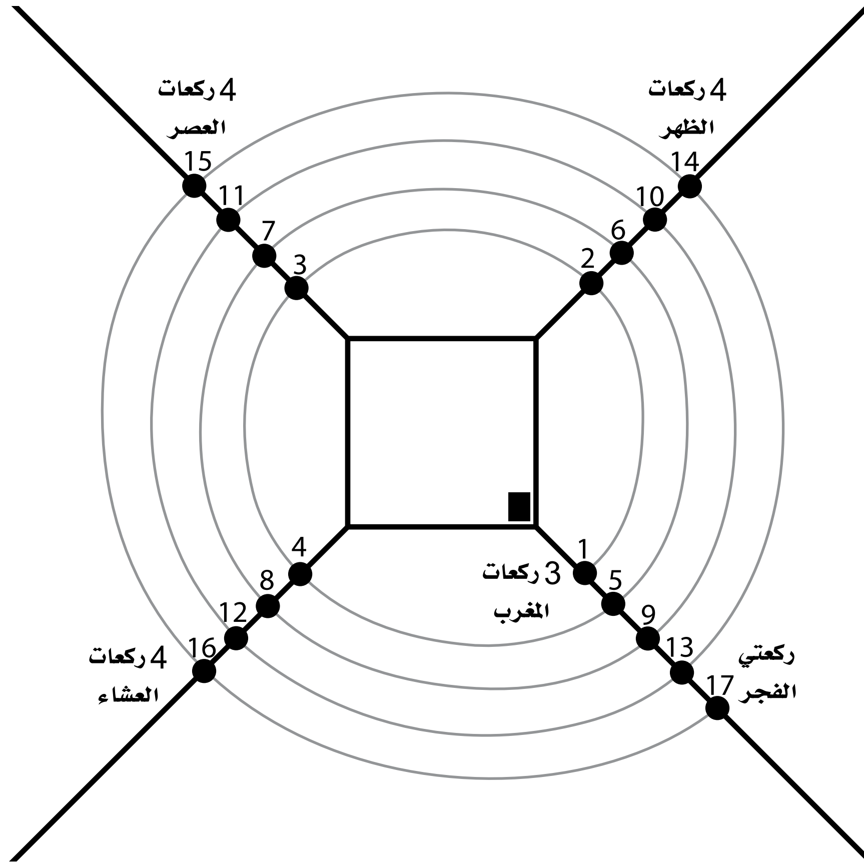
النقطتان 2، 3 تعطينا:

كلّاً من 4،5،6 (تذكر التشابه بين ظهر– عصر– عشاء) و النقطة 7.

النقطة 7 تعطينا:

النقطتين 8 ، 9 و اللتين هما آخر نقطتين (تذكر التشابه بين مغرب – صبح).

الطواف حول الكعبة يعطي تأكيداً آخر كما في الشكل التالي:



لنبدأ الطواف ولنترك عند بداية كل ركن من أركان الكعبة ركعة واحدة.

عند بداية الشوط الـ 5 نجد أن مجموع الركعات على أركان الكعبة هو 17 موزعة كالتالي:

5 ركعات على ركن الحجر الأسود و 4 ركعات لكل من الأركان الباقية.

هذه الـ 5 ركعات على ركن الحجر الأسود هي 2 و 3

2 صلاة الصبح (كما ذكر سابقا التشابه بينها) و

3 صلاة المغرب و

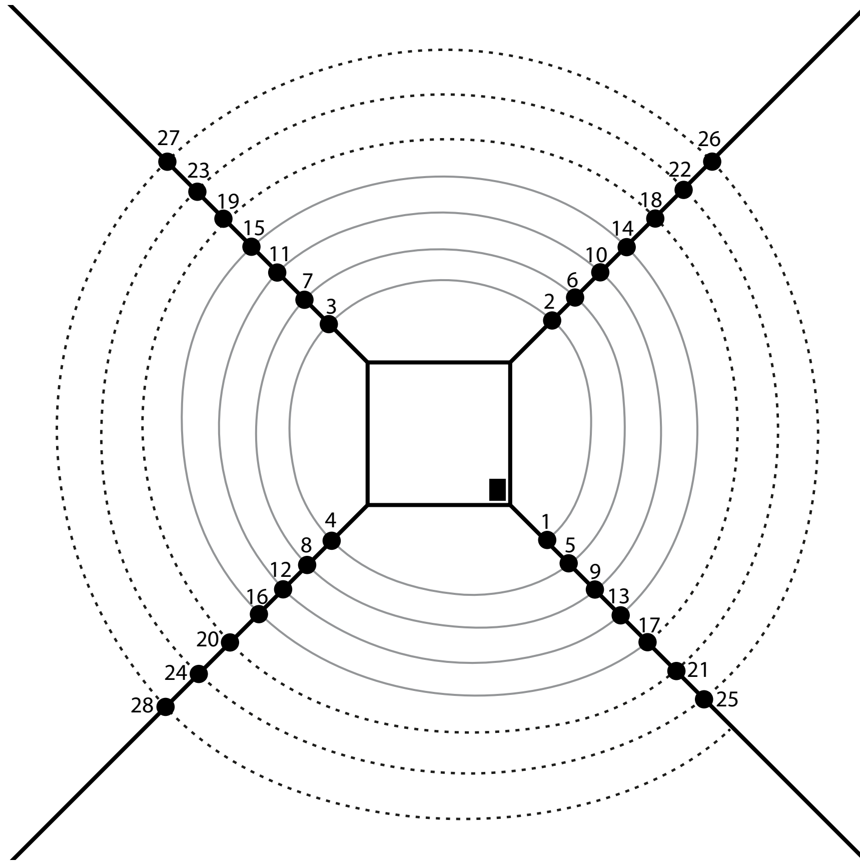
4 ركعات للأركان الباقية هي الظهر و العصر و العشاء

وليكون الظهر و العصر من جهة (صلاة في ضوء الشمس)

والعشاء من جهة المغرب والصبح (صلاة في غياب الشمس)

إن تابعنا الطواف نجد:

عند نهاية الشوط الـ7 أن على كل ركن من أركان الكعبة 7 ركعات كما في الشكل التالي:



28 هو مجموع الركعات لكل أركان الكعبة أي : 17 + 11

17 عدد ركعات الفروض في يوم واحد

11 عدد ركعات السنن المؤكدة في يوم واحد (كما جاء في الصحيح)[1].

وهو ما يبرز أهمية الـ 11 و علاقتها مع الـ17

لنتابع دراسة الشكل (5C1) والذي هو حصيلة جمع الأرقام على نفس السطر للشكل (5C) نجد محصلة:

السطر الأول: 1

السطر الثاني: 2+3=5

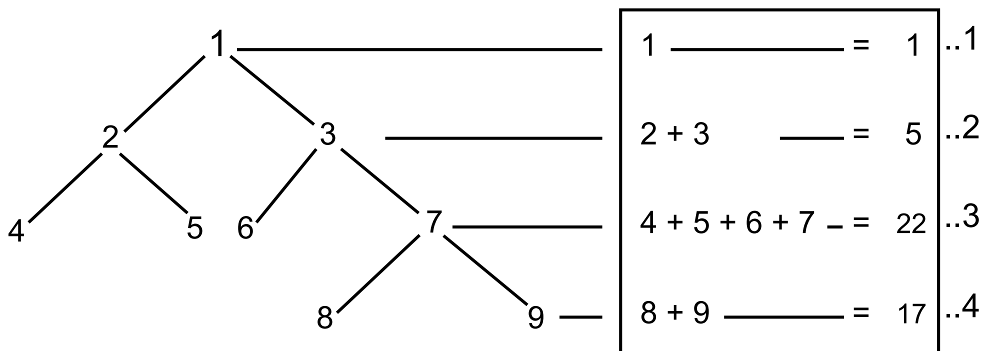
السطر الثالث: 4+5+6+7=22

السطر الرابع: 8+9=17.

---

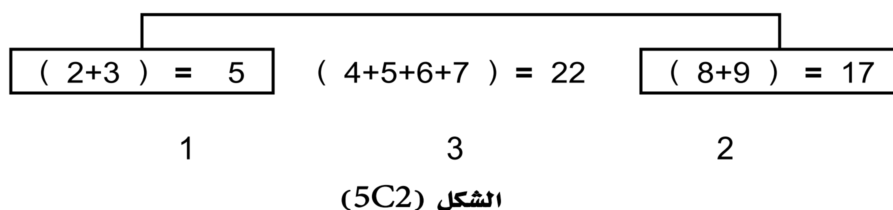
(1) (عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ حَفِظْتُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ عَشْرَ رَكَعَاتٍ: رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ فِي بَيْتِهِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ فِي بَيْتِهِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ) صحيح البخاري: 1109.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ فَقَالَ: «مَثْنَى مَثْنَى فَإِذَا خَشِيتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِرَكْعَةٍ» صحيح مسلم: 1340.



الشكل 5C   الشكل 5C1

نتابع دراسة الشكل (5C1) ولكن بتناول بصري وليس كمّياً للرقم مع الأخذ بعين الاعتبار أن العينان ثمينتان فلا نهملهما؟ قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ [العنكبوت: 29/ 20].



الشكل (5C2)

1 + 2 = 3

(2+3) + (8+9) = (4+5+6+7) = 22

الشكل (5C3)

2 + 3 + 4 + 5 + 6 + 7 + 8 + 9 = 2 (22) = 4 (11)

الشكل (5C4)

2+9 = 3+8 = 4+7 = 5+6 = 11

الشكل (5C5)

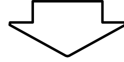
العمليات السابقة قد تبدو تافهة بالنسبة لتناول كمّي للرقم. التناول النوعي الذي يجريه العارفون هو قبل كل شيء تناول بصري للرقم. إن تناولاً بصرياً للأرقام ضرورة أساسية لفهمها. تناول كهذا، يظهر العلاقات و التفاعلات الداخلية بين الأرقام.

في التلقين الشفهي، العمليات السابقة هي عبارة عن محطات لشروح و دراسات طويلة، حيث تُفهم العلاقات بين أرقام الأشكال:

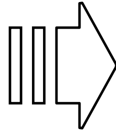
(5C1، 5C2، 5C3، 5C4، 5C5) من خلال تناول بصري للوفق المثلث.

مثلاً الشكل (5C6) نلاحظ أن أحد أهم الأعداد هو 11 . التناول البصري أظهر أهميته.

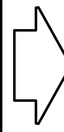
2+9 = 3+8 = 4+7 = 5+6 = 11

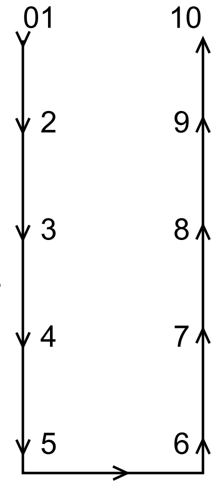


2 + 9
3 + 8
4 + 7
5 + 6



2	9
3	8
4	7
5	6





2+9 = 3+8 = 4+7 = 5+6 = 11

2+9 + 3+8 + 4+7 + 5+6 = 4 (11) = 44

الشكل(5C6)

كذلك أظهر الـ 44 و التي هي بالنسبة لنا:

40 و 04

إن وصلنا في الوفق المثلث بين أرقام:

2 و 9

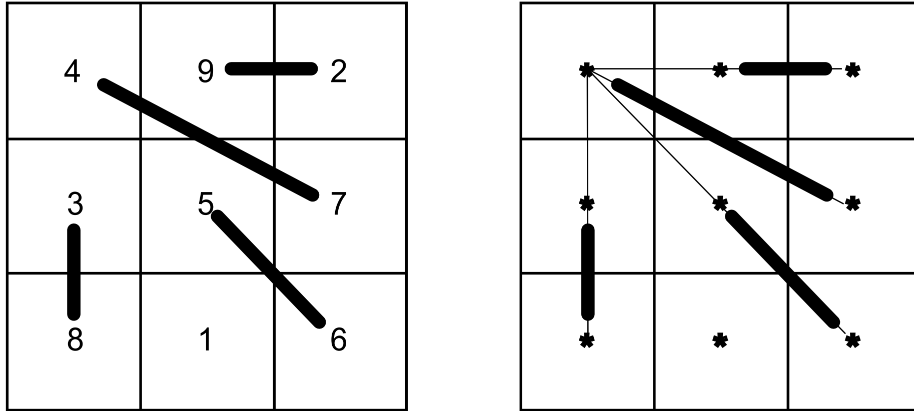
3 و 8

4 و 7

5 و 6

و المبينة في الشكل (5C6)، إنه أمر لافت للنظر كيف تتجه الـ 4 خطوط و التي محصلتها 44، مباشرة و بالضبط إلى خانة الرقم 4 كما في الشكل(1-D).

إن ذلك يشير إلى مدى أهمية و حقيقة التناول البصري للأرقام.



الشكل (D-1)

كذلك من خلال التناول البصري للشكل (5C6) نجد أيضاً أن 11 هو أحد أهم الأعداد. التعليق عليه أمر غاية في الطول. العمليات السابقة أظهرت أهميته، ووجوده وعلاقته الوثيقة بـ17.

في الشكل (5A1):

المحصلة الإجمالية للأرقام هي: 17،

محصلة الأرقام المستخدمة (5+3+2+1) هي 11، الشكلين (5D و 5E).

11 أساسي في الإسلام، إنه وحدة ضبط، خاصة في القرآن والشهادات الثلاث التي وردت 33 مرة في القرآن، و خاصة الأعداد الواقعة عليها.

11 بحراً من المعرفة. في دراستنا هذه علاقته مع 17 واضحة، خاصة أن:

11 هو عدد التكبيرات في ركعتين؛ واللتين هما وحدة ضبط في الصلوات، و الصلاة هي بدورها مرجعنا في دراستنا هذه.

التكبيرة من أهم العبارات في الإسلام.

التكبيرة «الله أكبر» تطبع بطابعها كل شوط من أشواط الطواف حول الكعبة، إنها تقال عند الحجر الأسود. «الله أكبر» كذلك هي أول عبارة في الأذان، و هي أهم عباراته و أكثرها تميُّزاً و تمييزاً له حيث أنها الأكثر تكراراً فيه. « الله أكبر» كذلك، هي أول عبارة يسمعها المسلم عند ولادته و لعلها من آخر ما يسمعه عند وفاته.

في الأذان (صافياً و نقياً كما كان أيام النبي ﷺ والصحابة) نجد أن عدد الأحرف المستخدمة فيه هي:

17 حرفاً: 9 أحرف للشهادتين و 8 أحرف لبقية الكلمات!

17 حرفاً: الأبجدية فيما عدا 11 حرفاً.

التكبيرة، الله أكبر: هي العبارة القائدة و المسيِّرة في الصلوات. بها نبدأ الصلاة وهي تقود جميع حركات الصلاة.

الركعة: هي الوحدة المعتمدة و الضابطة في الصلاة. تأخذ الركعة اسمها من وضعية محددة في الصلاة ألا و هي الركوع.

إنه لمن اللافت للنظر أن جميع حركات الصلاة تذاع و تسبق و تؤمر بالتكبيرة ما عدا الوضعية التي تلي مباشرة الركوع بالذات حيث لا يقال الله أكبر بل سمع الله لمن حمده.

هذا «الخلل» anomaly كما يبدو لنا هو في الحقيقة إشارة. إنّ العقل البشري يحب راحة التعميم و التصنيف و توحيد المعلومات (إنه الجهد الأدنى المحبوب). إنّ «خللاً» في نظام كهذا أمر يدعو إلى اليقظة والانتباه.

إنّ هذا «الخلل» في نظام التكبيرة من شأنه خلق ترتيبات رقمية مقصودة معبرة و رمزية، و كذلك الإشارة إليها، لنحسب التكبيرات في صلاة لـ 1 يوم نجد:

22 : تكبيرة في صلاة العصر.

17 : تكبيرة في صلاة المغرب

22 : تكبيرة في صلاة العشاء

11 : تكبيرة في صلاة الفجر

22 : تكبيرة في صلاة الظهر

إننا نجد ثانية الأعداد الواردة في الشكل (5c1) و الدراسة حول جمعهم و خاصة محصلة السطر الثالث والرابع. أما السطران الأول والثاني يعطيانا مفتاح السلسلة العددية التي بدورها تعطينا الأعداد: 11، 17، 22.

1 : محصلة السطر الأول ،

5 : محصلة السطر الثاني وهذا كافٍ لإيجاد سلسلة.

$1 + 5 = 6$

$6 + 5 = 11$

$11 + 6 = 17$

$17 + 5 = 22$

$22 + 6 = 28$

$28 + 5 = 33$ ...

التفاصيل تعطينا تأكيدات توجد:

1 تكبيرة تُبرز الابتداء بالصلاة، إنها تكبيرة الإحرام، بعدها تلاوة لعبارات ثم الفاتحة ثم ما تيسر من القرآن. بعد ذلك:

6 حركات متعاقبة متلاحقة لكل منها تكبيرة ما عدا بعد الركوع، أي:

5 تكبيرات. التكبيرة الخامسة من التكبيرات الـ5 المتلاحقة، قد تكون الأخيرة في الحالة النادرة لخيار حر لركعة واحدة في الصلاة، أو تكون التكبيرة التي ترافق الوقوف كما في البداية. في وضع الوقوف هذا، قراءةٌ للفاتحة و ما تيسر من القرآن ثم:

6 حركات متعاقبة متلاحقة تحتاج إلى:

5 تكبيرات و جلوس إجباري و قراءة محددة بالشرع، أي ما محصلته:

11 تكبيرة.

للاستمرار علينا قول: 1 تكبيرة للوقوف و قراءة الفاتحة بقرآن أو بلا قرآن، و 6 حركات متلاحقة بـ 5 تكبيرات. هذا يعطينا:

5+1 = 6 تكبيرة، نضيفها إلى 11 السابقة نجد:

11+6 = 17 إن تابعنا ينبغي علينا قول 5 تكبيرات أخرى قبل جلوس إجباري

17+5 = 22 ... و بالتالي نجد أن:

11 تكبيرة في الركعتين، والتي يمكن اعتبارها وحدة ضابطة، أصبحت أكثر وضوحاً.

(الأعداد الواردة في السلسلة السابقة موجودة في قراءة بسيطة للشهادة الكبرى).

في التحويل الشهير للأحرف إلى أرقام[1] (والمعروف من أيام الكنعانيين، أو كما يقال: الفينيقيين، والمستخدمة من قبل الآراميين و العبرانيين والعرب و الذي سمي عندهم بحساب الجمّل) يكون حساب:

17 = **اهيا**[2]، 22 = **يا هو**، 11 = **هو**.

الأحرف المستخدمة في هذه الأسماء الجليلة الثلاث 4 أحرف هي: ا ، ه ، و، ي

و هذه الـ 4 مجموعة في اسمه تعالى **يا هو**.

لم هذه الأحرف و ليس غيرها؟

السبب يكمن في معانيها و خصائصها، سوف أكتفي بذكر جانب واحد منها، رياضي.

بحساب الجمل نجد:

ا = 1، هـ = 5، و = 6، ي = 10

(1، 5، 6، 10) هي الأرقام الوحيدة التي تبقى آحادها ثابتة مهما ضُربت بنفسها:

$1\underline{1}^2 = 12\underline{1}$ ، $3\underline{5}^3 = 4287\underline{5}$ ، $\underline{6}^3 = 21\underline{6}$ ، $20\underline{0}^2 = 4000\underline{0}$

(1) راجع تعريف حساب الجمل صفحة (174).

(2) جاء في تفسير القرطبي للآية 40 من سورة النمل أن معنى اهيا هو اسمه تعالى: «الحي».

لقد تم اختيارها لثباتها كسبب من الأسباب و لأن مجموعها (1+5+6+10 = 22) والذي هو العدد الواقع على «**يا هو**».

يا هو بدوره 10+01+5+6 مما يؤكد هذا التناول البصري.

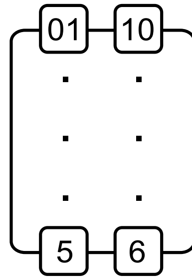
ي = 10

ا = 01

هـ = 5

و = 6

10 . . . 6 — 5 . . . 01



جميع الشروح السابقة (وهذا ما ينبغي علينا ألا ننساه) هي قراءة للأشكال: (5C، 5E، 5D)

التكبيرة أساسية في الأذان الـ 5 (ذات الـ17 حرف)، وفي الصلوات الـ5، خاصة وأنها آمرة لحركات الـ17 ركعة اليومية.

ترى ماذا يمكن أن يكون أفضل عدد واقع على التكبيرة في حساب الجمّل؟

إنه سوف يكون أمراً لافتاً للنظر إن وجدنا 17، وسيكون الأمر مدهشاً أن العدد الواقع على التكبيرة هو شيء من قبيل 17 ×ع. الحل الأمثل و الأكمل ألا نستخدم رقماً دخيلاً من أجل ع، و إنما رقماً ذا علاقة وثيقة بـ 17 أو شبيه به. أما أن تكون ع = 17 فهو شيء يفوق ما يمكن أن نأمله و نرجوه.

العدد الواقع على عبارة «الله أكبر» = 289 = 17×17 = 17^2.

هناك 17 ركعة يومية مثل: 9+8 = 17 هي ركع الصلوات الـ5.

ولكن لماذا 8 و 9 ؟

في الواقع الـ17 ركعة هي 8 و 9:

8 في ضوء الشمس

9 في غياب الشمس

كذلك الـ 17 ركعة في الواقع يوجد منها:

7 ركعات بالفاتحة فقط.

10 ركعات بالفاتحة و قراءة ما تيسر من القرآن.

7 ركعات بالفاتحة فقط؟ لأن الفاتحة شهيرة بآياتها السبع 7، والدارج عموماً عند معظم المفسرين أنّ السبع المثاني الوارد ذكرها في سورة الحجر (آية 87) هي آيات الفاتحة الـ7.

جميع أحرف الأبجدية مستخدمة في الفاتحة ما عدا 7 أحرف شهيرة تسمى سواقط الفاتحة. في قراءة سليمة للفاتحة، توجد 14 شدّة و تقع هذه الشدّات على 7 أحرف فقط من الأبجدية.

10 ركعات بالفاتحة و قراءة ما تيسر من القرآن هذه الـ 10 هي:

4+6= 10 توجد:

6 ركعات جهرية

4 ركعات سرية.

6 الركعات الجهرية تؤدّى بغياب الشمس كما هو الحال بالنسبة لـ 9 ركعات في غياب الشمس.

4 الركعات السرية تؤدّى و الشمس في السماء كما هو الحال بالنسبة لـ 8 ركعات التي تؤدّى و الشمس في السماء (في ضوء الشمس).

كذا الأمر بالنسبة للـ 6 و 4 الركعات الضرورية للقيام بـ7 ركعات بالفاتحة وحدها. لا توجد صلاة يومية مفروضة بالفاتحة وحدها.

7 ركعات بالفاتحة فقط إن تساءلنا عن كيفية توزيع هذه الركع الـ7 بين الليل والنهار لنجرب أن نصلَ إلى الجواب الأمثل من خلال استنطاق الرقم.

لعل أسهل حلٍّ هو بموازنة ركعات الليل بركعات النهار، أو بعبارة أخرى نصف في الليل ونصف في النهار.

لا توجد نصف ركعة، و بالتالي نحن مضطرون أصلاً أن نقسم:

الـ7 إلى نصفين بلا كسور أي 7 = 3 + 4.

إنها إشارة عظيمة تتجلى في السعي كما تتجلى في الشهادتين.

الآن كيف نضع 3 و 4 مع 6 و 9 اللذين يمثلان الليل أو 8 و 4 اللذين يمثلان ضوء الشمس.

إنني «أفضّل» أن أضع 3 مع 6 و 9 لأن هذه الأرقام الثلاثة تشترك بخصائص رياضية كثيرة خاصةً في n^a. مثلاً:

1	2	3
4	5	6
7	8	9

3^7 = 2187 ، 2+1+8+7 = 18 ، 1+8 = 9
6^4 = 1296 ، 1+2+9+6 = 18 ، 1+8 = 9
9^3 = 729 ، 7+2+9 = 18 ، 1+8 = 9

الرقم النهائي هو دائماً 9.

و بالتالي وضع 3 مع 6 و 9 أمر في غاية الإقناع.

4 تذهب بلا إشكال مع الزوج 4×1 = 2^2 = 4 و 4×2 = 2^3 = 8 ؛ خاصةً أنّ:

نور = نهار = 256 = (4 × 4 × 4).

وبالتالي نضع 3 في الليل و 4 في النهار. السعي يؤكد صحة استنتاجنا الرقمي والذي يتطابق تماماً مع واقع الأمر.

6، 4، 7 هي بالتالي: 6 ركعات جهرية بالفاتحة و القرآن.
4 ركعات سرية بالفاتحة و القرآن.
7 ركعات سرية بالفاتحة وحدها.

إنْ جمعنا المتشابه يمكننا أن نقول: إنه توجد 11 ركعة سرية و 6 ركعات جهرية، إنه تماماً ما يمكن للمرء أن يلاحظه و هو يتأمل الصلوات الـ5 كما تؤدّى في يومنا هذا عند الكعبة مثلاً، و تماماً كما كان يفعل ﷺ قبل 14 قرناً.

ولكن ما هي العلاقة ما بين 11 و 6 الموجودين في نظام الصلوات السرية والجهرية، وكذلك في السلسلة 1+5= 6، 6+5= 11، 11+6= 17 ؟ إننا نجد زيادة في الشرح في الأعداد الواقعة على الأسماء و الكلمات المقدسة. 11 كما رأينا تشير إلى «هو» و«هو» أحد أعظم أسمائه تعالى كما أشار إلى ذلك في من أشار الرازي في كتابه (شرح الأسماء الحسنى).

في دراسة «سيمانتيكية» لـ «هو»، لنتصور إنساناً ممثِّلاً للإنسانية، ليكن آدم و يقول: **هو.** من هو المقصود إن كنا نبحث عن هو مطلق ؟ الملائكة ؟ لا ... لأنهم هم، س ؟ لا ... لأن س هم، س1 ؟ لا ... لأن ، س 2؟ لا... لأن س2 غير عاقل و لا تطلق **هو** على غير العاقل.

كذا الأمر بالنسبة لجميع الخلائق و الموجودات. نجد أنفسنا في النهاية نواجه حقيقة لا مناص منها و هي أن **لا أحد هُوَ** «**هو**» و يتفرد بكونه «**هو**» غير **الله** تعالى.

في هذا البحث عن الـ «**هو**» المطلق كنا نسأل من هو «**هو**»؟ أيكون س؟ و في كل مرة كان الجواب نفياً. و بالتالي: «**هو** » ليس س و ليس س1 و لا س2 و لا س ، (لانهاية) .

إنه الله سبحانه وتعالى الذي لا يمكن مقارنته و الذي لا شبيه له و الذي مهما ذكرته أو خطر ببالك من المخلوقات و الموجودات، فهو سبحانه خلافه. إن ذلك لتنزيه و تسبيح يُعبَّرُ عنهما بكلمة «سبحان».

إنّ التناول «السيمانتيكي» لكلمة «**هو**» أوصلنا إلى الله جلّ جلاله، وكذلك إلى «سبحان».

لننظر الآن ماذا يعطينا تناولٌ رقمي للفظ «**هو** »: هو = 5 + 6 = 11 .

محتويات (11) =1+2+3+4+5+6+7+8+9+10+11=

$= (11^2+11)/2 = (11+1)\times 11/2 = 11\times 6 = 66$

$11^2 = 121$.

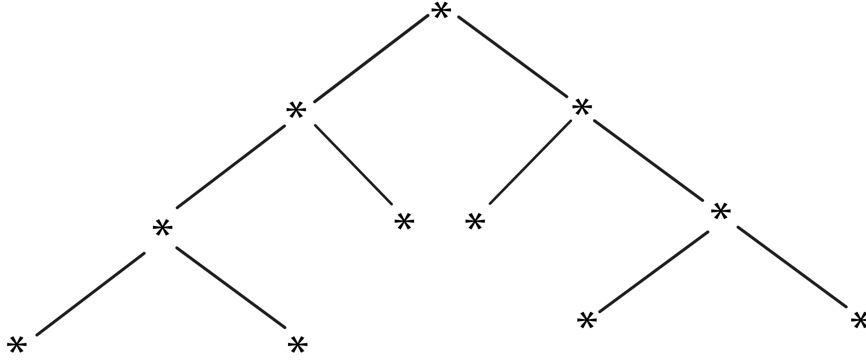
و بالتالي رقمياً، 11 أعطتنا و ببساطة؛ محتواها 66 و مربعها 121 .

سيمانتيكياً، **هو** أعطتنا، **الله** و**سبحان**. العدد الواقع على لفظ الجلالة الله = 66

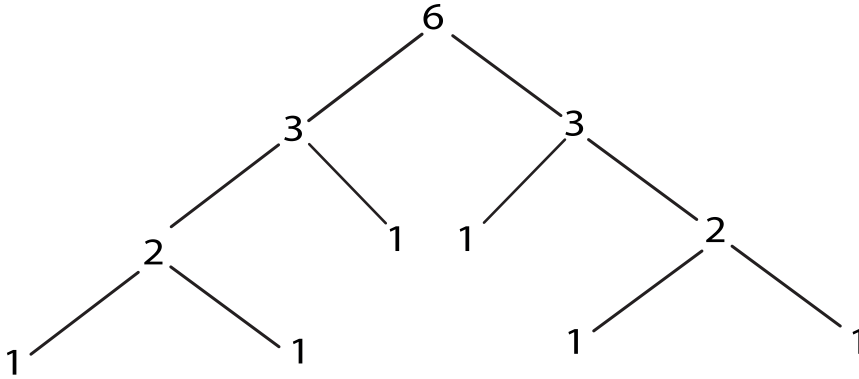
العدد الواقع على سبحان = 121، وعبارة سبحان الله بناءً على ذلك121 +66= 187

187= 11×17 تأكيداً على العلاقة الوثيقة بين 11 و 17 .

17−11= 6 ، إن درسنا 6 كما فعلنا بالنسبة لـ5 (الشكلين 5B، 5A1) فسوف نحصل على 11 نقطة، و ستكون محصلة الأرقام المستخدمة 22 ! كما في الشكل:



مجموع النقاط 11



محصلة الأرقام 22

11 هو سادس الأعداد الأولية (1، 2، 3، 5، 7، 11)[1].

11 و 6 (كما عُلِّقَ عليهما باقتضابٍ) هما مفتاح و أساس رموز الهندسة المقدسة الضابطة لقبةٍ أموية، بقدر ما هي عظيمة و بديعة، بقدرٍ ما هي مهملةٌ و منسية: ألا و هي قبة السلسلة في القدس.

قبة الصخرة من أشهر المباني الإسلامية.

كلتا القبتين ـ قبة الصخرة و قبة السلسلة ـ آية في الهندسة المقدسة والعمارة الأموية. لكون قبة السلسلة صغيرة وشديدة القرب من قبة الصخرة فهي تعتبر من قِبَل متخصصين

---

(1) راجع تعريف العدد الأولي صفحة (175).

وبشكل يثير العجب، «كي لا نقول أمراً آخرَ» تعتبر من قبلهم نموذجاً تجريبياً لقبة الصخرة. كيف لمتخصصين أن يشعروا برضاً لاستنتاج كهذا؟ قبة الصخرة لها مسقط خارجي مثمن، القبة بحدّ ذاتها محمولةٌ على مضلع عدد أضلاعه $8\times 2 = 4^2 = 16$ ضلع. أما مسقط قبة السلسلة فهو مضلعٌ ذو 11 ضلع بداخله مسدس ترتكز عليه القبة.

إنّ مضلعاً لـ11 ضلع هو حقاً شيء غير اعتيادي في العمارة ! فما بال العلاقة الهندسية بين المضلع الأحد عشري و المضلع المركزي السداسي الذي يحمل قبة السلسلة.

إنّ المسدس سهل الرسم بالفرجار، و لكن أساتذة الهندسة المقدسة هم الوحيدون الذين يستطيعون إحاطة المسدس بمضلع أحد عشري و ذلك بأدوات الهندسة المقدسة (توجد مضلعات «نظامية» و مضلعات «غير نظامية»). 11 سادس الأعداد الأولية. (1، 2، 3، 5، 7، 11).

إنّ مسقطاً عجيباً كهذا هو للتأكيد على 6 و 11 و علاقتهما الوثيقة بـ 5 و 17.

11 - 6 = 5 ______ 17 = 6 + 11

محتويات 11 هي م (11) = 11×6 = 66.

محتويات 6 هي م (6) = 1+2+3+4+5+6 = 21.

11−6 = 5، م (11) − م (6) = 45 إن كنت تذكر.

11 و 6 ممثلان في نظام الركعات الجهرية و السرية، إنهما يذكراننا بسلسلة 1+5 = 6، 6+5 = 11، 11+6 = 17 ... إنهما يذكراننا بأسمائه الشريفة **هو** و **الله** جلّ جلاله.

هذا البناء الذي هو في غاية الرمزية يسمى قبة سلسلة سيدنا سليمان. (تذكر سورة الأنبياء، سورة 21/92) :

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾.

قبة السلسلة هي نوع من أنواع الأبنية التذكارية للتذكير بالصلوات المفروضة على الأمة الإسلامية كاستمرارٍ و إحياءٍ لتراث عتيق و غاية في السمو و العظمة.

لقد بُنِيت القبة للإشارة و التذكير، و لتمثيل المعرفة العليا المنقولة لنا عن طريق شعائر الصلاة.

في حديث النبي ﷺ عن رحلته، يخبرنا أنّ الله سبحانه وتعالى فرض على أمته خمسين صلاة لكل يوم و ليلة، و كيف أُنقِصَت هذه الصلوات خمساً فخمس (و ذلك بناءً على نصيحة سيدنا موسى)، إلى أن صارت خمس صلوات مفروضة لها أجر خمسين.

هذه المعلومة الرقمية كونها إشارة جلية، فإنّ ذلك هو ما يهمنا في هذا الأمر.

إنني أشعر بأنه عليّ الإشارة إلى أنّ قصة الإسراء و المعراج قد تبدو في قراءة أولية لها، رواية بدائية و ساذجة. إنها أحدثت إشكالات كثيرة فيما يتعلق بالتصديق بها منذ اللحظة الأولى عندما رواها النبي ﷺ حال عودته.

حتى الآن الكثيرون قبلوا بقصة الإسراء و المعراج بشيء من التسليم، آخرون أكثر «واقعية» في التفكير أرادوا ألا يُناقَشَ الأمر أو يُشرَح أو يُعلَّقَ عليه تجنباً للاضطراب و الإشكال. كثيرون حاولوا الشرح بإيمان، و لكن بعلمٍ و فهم هزيلين. هذا لم يعطِ سوى نتائج «غريبة» و«عجيبة» أو ساذجة و بسيطة ليست أعلى من مستوى الذكاء المحتاج إليه في المشاغل اليومية لأولئك الناس.

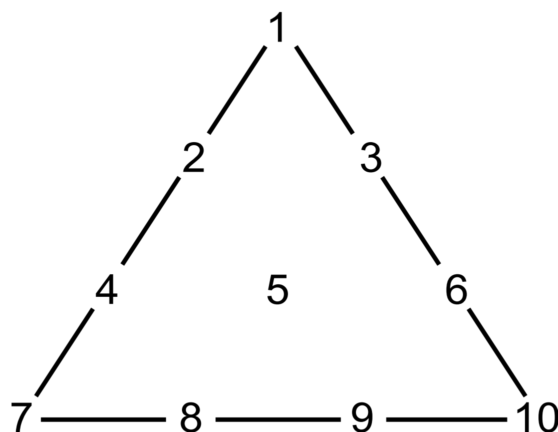
فقد ورد في صحيحي البخاري ومسلم و على لسان أحد الصحابة المقربين: سيدنا أنس رضي الله تعالى عنه حديث الإسراء والمعراج.

في هذا الحديث، يخبر الله تعالى النبي عليه الصلاة والسلام:

«... يَا مُحَمَّدُ إِنَهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَومٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً...»

[صحيح مسلم: 234].

إنها إشارة مرهفة و جلية لإحدى أهم الأشكال التي تمثل الأرقام. لقد تلقاها الفيثاغورثيون كالذين سبقوهم، تلقياً شفهياً. لقد كانت سرهم الأعظم. لقد ظهرت في اليونان بعد النهاية المأساوية لجماعتهم. منذ ذلك الزمان يُطلقُ على هذا الشكل الكوني الممثل للأرقام اسماً شهيراً يونانياً هو **تراكتيس**.



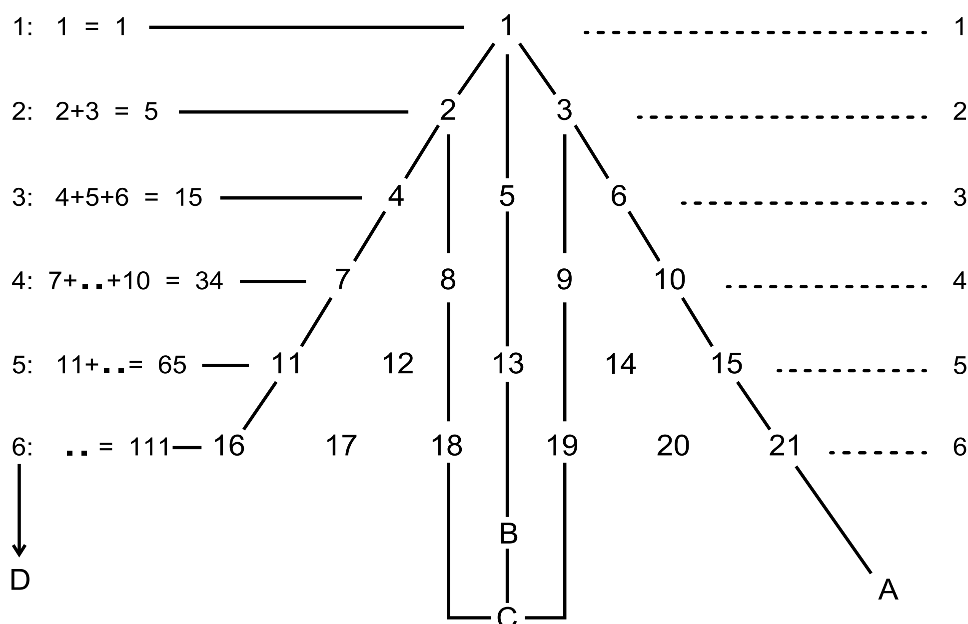
التتراكتيس

لا بدّ أنّ فيثاغورث قد رأى هذا الشكل في تجسيدٍ له شائع جداً في عمارة سورية و بلاد الرافدين. إننا نستطيع أن نراه حتى أيامنا هذه في معبد عمريت مثلاً على الساحل السوري.

إنّ منتهى بساطة التتراكتيس أو مثلث العارفين تجعلها صعبة الفهم.

العظمة تكمن في البساطة.

هذا هو التوزيع الحقيقي للأرقام على مثلث العارفين، كما تلقيته. يمكن رؤية هذا الشكل بـ 2×3 طريقة مختلفة كما هو الحال بالنسبة لأي وفق رباعي، و الذي يمكن رؤيته بـ 2^3 طريقة. (الملاحظات التالية ليست سوى ضمانة لكمال توزيع الأرقام على الشكل).



(A) تعطينا تلقائياً سلسلة محتويات عدد: رقم السطر يقابل محتوياته.

مثلاً: م (4) = 10، م (5) = 15.

(B) تعطينا رقم الخانة المركزية في وفق مفرد كامل.

مثلاً: الرقم المركزي في الوفق المثلث 5، و في الوفق المخمس 13...

(C) تعطينا العددين الموجودين في الخانتين الوسطيتين في وفق زوجي.

(D) تعطينا مجموع أي ضلع في وفق، و ذلك بمجرد جمع الأرقام الواردة على السطر ذي الترقيم الذي يوازي عدد خانات ضلع الوفق. مثلاً إذا أردنا معرفة مجموع خانات وفق مربع، نأخذ السطر الرابع، نجمع الأرقام الواردة فيه: 7، 8، 9، 10 المحصلة 34 وهو ضلع أي وفق مربع طبيعي. إن ضربنا هذه المحصلة برقم السطر فسوف نحصل بالطبع على مساحة الوفق المقصود، كما في مثالنا: 4×34= 136، و هي مساحة الوفق المربع.

الملاحظات (A) (B) (C) (D) ليست سوى ملاحظات سريعة لإعطاء ضمان يؤكد كمال هذا التوزيع.

لنعد إلى القراءة الفيثاغورثية لمثلث العارفين مُعْتَبَراً كنقاطٍ على أربعة أسطر:

إنها العلاقة الشهيرة 1+2+3+4=10.

لقد قالوا: إن 10 هي 1، إنه أقرب للفهم إن تناولنا الأمر بهذه الطريقة:

10 هي 1 و 0 ، 0+1 =1

بالنسبة لنا 10 تقابل 01.

في الحقيقة الأمر كذلك: 10 ⟵⟶ 01

كما في القرآن بالنسبة لنا 01 هو رقم الوحدانية، و 10 هو الكمال.

هل يمكن أن توجد عدة «كمالات» مطلقة؟

إن كانت توجد فهي مختلفة أو متشابهة. إن كانت مختلفة، فلا بد أن تكون إحداها أكمل من الأخرى، مما يجعل البقية أقل كمالاً منها وهذا تناقض. إن كانت متشابهة تماماً فهي واحدة بالضرورة.

في الحقيقة، الكمال المطلق و بجلاء، واحد. و بالتالي واحد هو كمال مطلق وهو كامل لأنه مطلق.

يمكننا أن نقول أن الوحدانية والكمال متلازمان. و هذا يسمح لنا بفهم:

«... يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم و ليلة لكل صلاة عشر ... ».

01 صلاة بكمال 10 صلوات. الكمال و الوحدانية متلازمان و هما مجتمعان في

01 + 10 = 11 ، أي اسمه تعالى «هو»، الذي يمكن أن يترجم في عالم الأسماء على أنه الوحيد الكامل أو الكامل الوحيد، أو بعبارة أخرى المتفرد بكماله. لعلها عبارات جميلة، ولكنها في الواقع ليست سوى صدى بعيداً للفصاحة المتسامية لعبارة «هو» أو 11.

01 ، 10 هي قراءة أولية و نهائية لمثلث العارفين منظوراً إليه كنقاط على أربعة أسطر مقروءة كـ : 1+2+3+4=10.

إن قمنا بنفس العملية على الـ10 نقاط فسوف نحصل على:

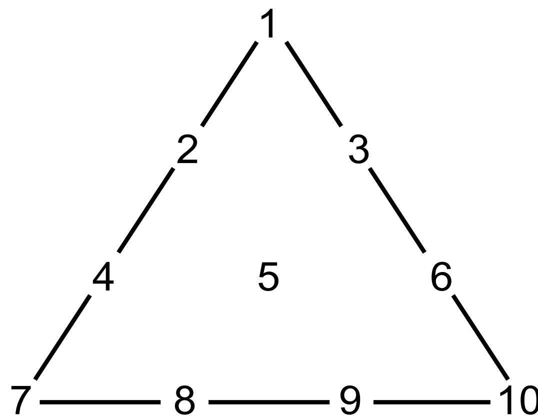
1+2+3+4+5+6+7+8+9+10=55، 5+5=10 كاليدين بأصابعهما الـ 10.

بالنسبة لنا 55 هي 50 و 05 .

و ذلك بنفس الطريقة التي نظرنا فيها إلى 10 مقابلها 01.

يا محمد إنهن 05 صلوات كل يوم و ليلة لكل 01 صلاة 10 فذلك 50 صلاة.

إن تناولاً بصرياً للمعلومة هو أفضل تناول لرسالة رقمية. إن نظرنا ثانية إلى النقاط الـ10 في مثلث العارفين معتبرين إياها أرقاماً بهذا الشكل:



نجد أنه يوجد رقم مركزي واحد، بينما تتوضع بقية الأرقام على محيط مثلث. مركز ومحيط. الرقم المركزي 05 و مجموع الأرقام الواقعة على المحيط:

1+2+3+4+4+6+7+8+9+10 =50. مجموع أرقام المحيط 50 هو مقلوب الـ 05 المركزية.

«يا محمد إنهن 05 صلوات كل يوم و ليلة لكل 01 صلاة 10 فذلك 50 صلاة ».

العلاقة الوثيقة بين 0 و 5 يمكن تبيانها بشكل كامل من خلال القوة المنظمة للوفق المثلث، و ذلك في عمليات بسيطة و لكنها غاية في التعبير.

ما أريد التنويه عنه ههنا هو أن 55 هي:

(a) 55 هي محتويات الـ 10.

م (10) = 1+2+3+4+5+6+7+8+9+10= 55.

5 و5 مثل أصابع اليدين التي تعطي مزيداً من الشروح على مثلث العارفين.

(b) 55 هو رقمنا الذي ألفناه: 11، مضروباً بـ05، 11×05=55.

(c) 55 هو العاشر في أرقام ما يسمى بسلسلة فيبوناتشي:

1، 1، 2، 3، 5، 8، 13، 21، 34، 55.

1 2 3 4 5 6 7 8 9 10.

(d) 55= $1^2+2^2+3^2+4^2+5^2$

1^2+2^2= 05، $3^2+4^2+5^2$ = 50

(e) يمكن تقسيم 55 على الأرقام التالية فقط: 01، 05، 11. و مجموعها 01+05+11 ليس سوى 11+6= 17.

(f) 55 هو و بشكل خاص، العدد الواقع على اسمه تعالى «مجيب». لذا تأخذ حركة مسلم يسأل الله رافعاً و فاتحاً يديه: 5+5=10 أصابع، م(10) =55 معنى ذي رمزية عظيمة. 10+01 =11 كقولك «يا»، 50+05= 55 كقولك: «مجيب».

(11+55) هو العدد الواقع بحساب الجمّل على قولك: «يا مجيب».

من المجيب؟ هو! هو =11، من هو «هو»؟ الله؟ العدد الواقع بالجمّل على لفظ الجلالة: الله = 66 = 11+55= يا مجيب !

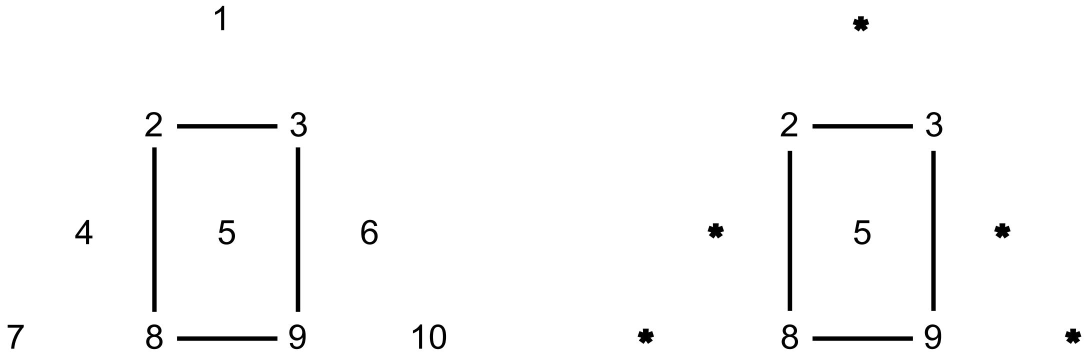
يمكننا الآن العودة بمنتهى الراحة و الطمأنينة للنظر ثانية إلى الشكل (5C) .

في الشكل (5C) لدينا 8 خطوط و 9 نقاط. لقد أعطينا لكل نقطة رقماً.

إنّ شعيرةً نقيةً و موحاةً تؤكد لنا صحة تتبعنا للإشارات.

(3+2=5، 9+8=17) مثل 17 ركعة في 5 فروض.

يعطينا مثلث العارفين، والذي هو ذو علاقة وثيقة بعدد الصلوات، تأكيداً بصرياً قوياً:



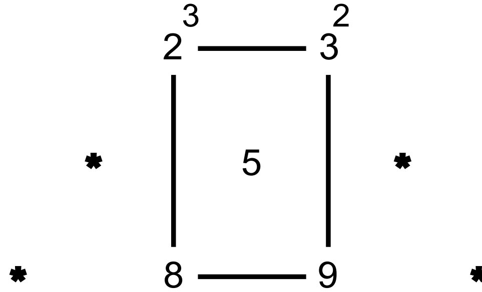
5 في المركز. 2 و 3 من جهة تناظر 8 و 9.

شعيرة موحاة حقيقية تأتي لتؤكد و تفسِّر و تُفسَّر:

5 صلوات؛ 2 في ضوء الشمس و 3 في الليل.

17 ركعة؛ 8 في ضوء الشمس و 9 في الليل.

لدينا زيادة تأكيد من خلال قراءة بصرية و رياضية بسيطة لمثلث العارفين:



بهذه الطريقة، العلاقة بين عدد الصلوات اليومية و الركع اليومية راسخة بقوة و ثقة:

2 فرض في الشمس، $2^3 = 8$ ركعة في ضوء الشمس.

3 فرض في الليل، $3^2 = 9$ ركعة في الليل.

إنّ تفاصيل حديث (50، 05) صلاة تعطي شروحاً و إشارات عظيمة، خاصة فيما يتعلق بما ذُكر عن كيفية إنقاص الصلوات. إنّ فهم هذا الأمر الأخير يستند إلى شكل آخر، ولكنه على مستوى أعلى من الدراسة الحالية.

قبل أن نترك، و بكثير من الامتنان، تلك الإشارة البديعة عن (50 ، 05) صلاة وحديثها؛ الذي هو حقاً بعيد كل البعد عن قصة فولكلورية لبداوى كُسالى، دعونا نلقي نظرة أخرى على مثلث العارفين.



تكلمنا عن الصلوات الـ 5 التي هي 1 ركن من أركان الإسلام الـ 5.

7 من جانب الشمس لأنه يوجد 4 ركعات بالفاتحة وحدها في الشمس و 3 في الليل. 3<4.

الـ 10 ركعات بالقرآن من جانب الليل لأنه يوجد 6 ركعات منها في الليل و 4 في الشمس. 4<6.

مثلث العارفين مبني على 1، 4، 10:

1 واحد مثلث.

4 أربعة أسطر.

10 عشرة نقاط.

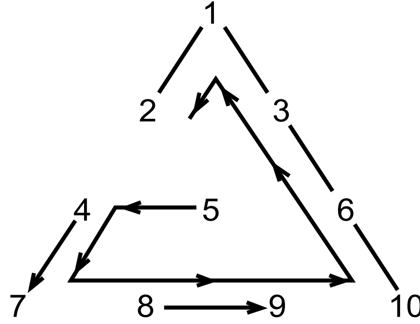
م(1)+م(4)+م(10)= 01+10+55 = 01+10+05+50 = 11+55 =66

$1^2+4^2+10^2$ = 01+16+100 = 117 = (7×17) − 2 (صلاة الجمعة 2 ركعة!!!)

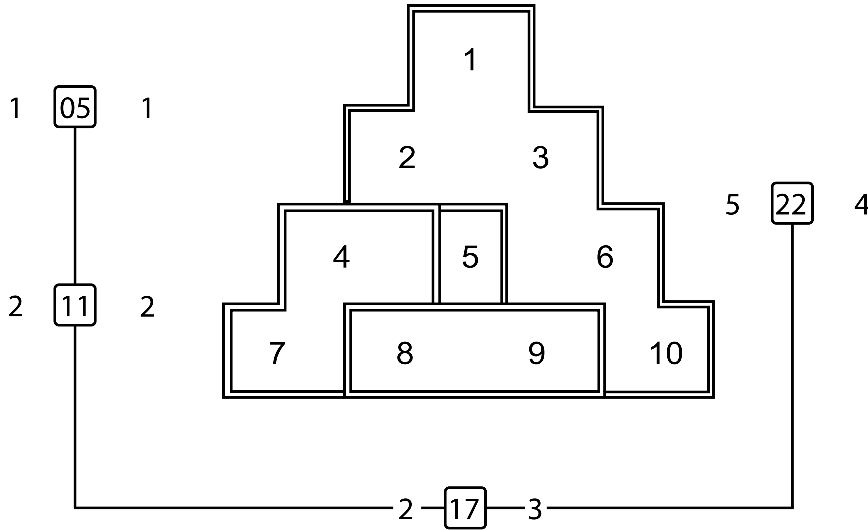
117 هو عدد الصلوات المفروضة في الأسبوع.

نظرة أخيرة إلى مثلث العارفين تعطينا تأكيدات أقوى فيما يتعلق بعدد التكبيرات في الصلوات. 11، 17، 22 و التي حصلنا عليها عن طريق السلسلة 1+5=6 التي تؤكدها دراسة الـ 11 كما فعلنا لـ 5 في الأشكال (C5، 5A1).

لنبدأ السير من الـ 5 المركزية باتجاه 4،7 ثم 9،8 وأخيراً 10، 6، 3، 1، 2 كما في الشكل:



يصبح عندها مثلث العارفين كما في الشكل:



1 . . . 5 . . . . = 5
2 . . . 4 + 7 . . . . = 11
3 . . . 8 + 9 . . . . = 17
4 . . . 10 + 6 + 3 + 1 + 2 = 22

10 ——— 55

10 مجموع الأسطر   55 مجموع الأرقام

محتويات الـ 10 = 55 = اسمه تعالى مجيب ..... إن كنت تذكر!!

التكبيرات في الصلوات تحتاج إلى الله أكبر

الله أكبر هي العبارة التي تميز الأذان لـ 5 صلاة يومية ....إن كنت تذكر!!

قال عليه الصلاة و السلام: «إِذَا كَانَ عِنْدَ الأَذَانِ فُتِحَتْ أَبْوابُ السَّماءِ واُسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ، وإِذَا كَانَ عِنْدَ الإِقَامَةِ لَمْ تُرَدّ دَعْوَة»[1].

إنها حقيقة رقمية في قراءة لهندسة مقدسة الشكل(6) تفسِّر شعيرةً صافية و موحاة:

توجد 50 صلاة أنقصت إلى 05 صلوات. 50−05= 45.

45 هو عدد الصلوات المنقوصة، توجد 45 صلاة منقوصة. إن كانت 05 صلوات بـ 17 ركعة ...

05 صلوات	17 ركعة
45 صلاة	153 ركعة

م(9) = 45 = 9x5 .... 17x9 = 153 = (17)م

الشكل (6)

وبالتالي، الشكل(6) بعيداً كل البعد عن نكتة أكروباتية قوامها الأرقام.

(1) (رواه عبد الرزاق في المصنف عن أنس رضي الله عنه)

كما جاء عن إجابة الدعاء:

ما ورد عن أبي أمامه أن رسول الله قال: «إذا نَادى المُنَادِي فُتِحَتْ أبوابُ السماءِ واستُجِيب الدعاءُ».(رواه أبوعوانة في مسنده، والحاكم في المستدرك، وصححه الألباني).

و عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ» (مسند أحمد: 14162)

إنّ تأكيداً آخرَ في مجال آخر يعطينا قناعة أعمق و إيماناً أرسخ في وحدة المعرفة العليا:

إنّ الأركان الكبرى في التاروت على صلة وثيقة بقصة سيدنا موسى و الخضر في سورة الكهف[1].

1··········0··········21
2····················20
3····················19
4····················18
5····················17
6····················16
7····················15
8····················14
9····················13
10 ·········11·········12

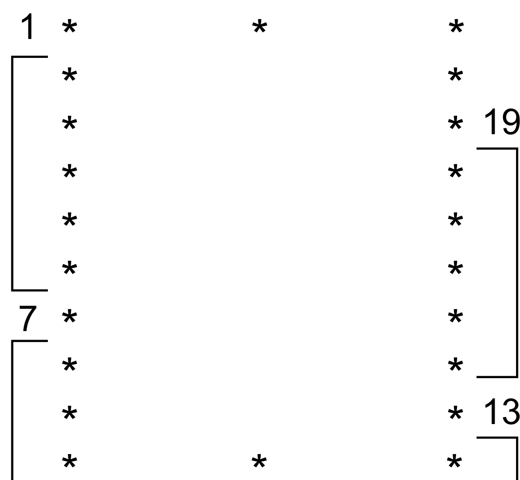
الشكل (7)

خذ رقماً، اقفز فوق 5 نقاط و خذ الرقم السادس كما في سلسلة 1+5=6.

في الشكل (7) نحن مهتمون بالرقم 5؛ لا يوجد رقم أصغر منه إن عددنا 5 نقاط قبله، وبالتالي نقفز 5 نقاط بعده و نأخذ الـ 6، إنه 11، نقفز 5 نقاط و نأخذ السادس فما يكون إلا 17 مناظراً للـ 5 بالطبع. مجموعهما 22 كما هو الحال بالنسبة لجميع الأعداد المتناظرة في الشكل (7). فقط 11 مناظر لـ 0. و بالتالي في سيرنا السابق حصلنا على 17 ركعة و 5 صلوات و نظام 11، 17، 22 تكبيرة.

لن أقف عند ما يحويه هذا الأمر من رموز.

(1) راجع تعريف التاروت صفحة (172).



الشكل (8)

إن تابعنا بعد 17 كما سبق و فعلنا، نقفز فوق 5 نقاط و نأخذ الرقم السادس يكون 1 «الحكيم». نتابع بنفس الطريقة فنحصل على الأوراق أو الأرقام أو الأركان 7، 13 وأخيراً 19 و هي أقل الأوراق مسخاً في أقل نسخ التاروت تشويهاً نسخة دو جيبلان. كان الأمر غاية في الطرافة بالنسبة لي تتبع تشوهات الأوراق من نسخة إلى أخرى[1].

الورقة 1 تمثل الحكيم. في نسخة كورت دو جيبلان لا نزال نرى تفصيلاً أساسياً.

إنّ هذا التفصيل يمكن رؤيته في بعض مآذن دمشق. دمشق هي الموطن الأصلي للوردة.

في عام 1613 و في كتاب سُمِّيَ (Fama Fraternitatis Rosea Crucis) أُعلن عن جماعة الـ «روزنكروتس» التي أسسها الألماني كريستيان روزنكروتس. لقد تلقى كريستيان روزنكروتس علوماً خاصةً من عارفين دمشقيين في دمشق عام 1404 عندما كان في السادسة والعشرين من عمره. كان والده آخر أسياد قلعة «جيرمل شاوزن» في قلب غابة «تورنج». عندما عاد كريستيان روزنكروتس إلى ألمانيا اختبأ في كهف و علّم ثلاثة أشخاص و تُوفي و هو في السادسة بعد المئة.

الورقة رقم 7 مشوّهة للغاية! لعلنا نتعجب لوهلةٍ أمام هذين الحصانين اللذين لا أعضاء خلفية لهما، و هما ملصوقان لصقاً بهذه العربة العجيبة، و لكن تماثيل كلاسيكية و رسوم مستوحاة منها و خاصة في عصر النهضة، و هو العصر الذي رُسِمت فيه هذه الأوراق، يجعلنا

---

(1) من المفيد الإطلاع على التعريفات في الصفحة 172 لرؤية صور أوراق التاروت رقم 1 - 7 - 13 - 19

ندرك من خلال التماثيل الكلاسيكية و مقارنتها بالأوراق كيف حصل التشويه، أقصد برسوم عصر النهضة تلك المتعلقة بملك البحر Neptune . 13 هي ورقة الموت و هي قتل الغلام. 19 أقل الأوراق تشويهاً و هي بكل جلاء اليتيمين أمام جدار الكنز. قل كنزاً أقول لك ذهباً، قل ذهباً أقول لك شمساً.

قل لي من ذا الذي يعبّر دائماً عن الذهب بالشمس ؟

لقد رأينا كم كانت العلاقة بين 5 و 17 وثيقة و ذلك في الصلاة و في تحضير رسم الوفق المثلث و كذلك بالتأكيدات التي أعطتنا إياها الأرقام.

مجموع الأعداد المستخدمة في الشكل (5A1) و في دراستنا لـ 5 ليس سوى 17، الشكل (5D) . لندرس 17 كما درسنا 5.

إنّ دراستنا لـ 5 تتوافق تماماً مع رسم الوفق المثلث.

وكذلك مع الصلوات الـ 5. (الشكل 5A2). إن حصلنا على نفس التوافقات في دراستنا لـ 17 فسوف يكون ذلك تأكيداً نهائياً و مطلقاً على دراسة أحد أركان الإسلام الـ 5 وهي الصلاة، من خلال الهندسة المقدسة ثنائية الأبعاد و المبنية على أسس رقمية و مجموعة من القواعد الأولية والأساسية والكبرى؛ التي هي على انسجام تام مع غاية و رمزية الوفق المثلث، حيث الوفق المثلث من الأمثلة الراقية جداً و النقية للهندسة المقدسة.

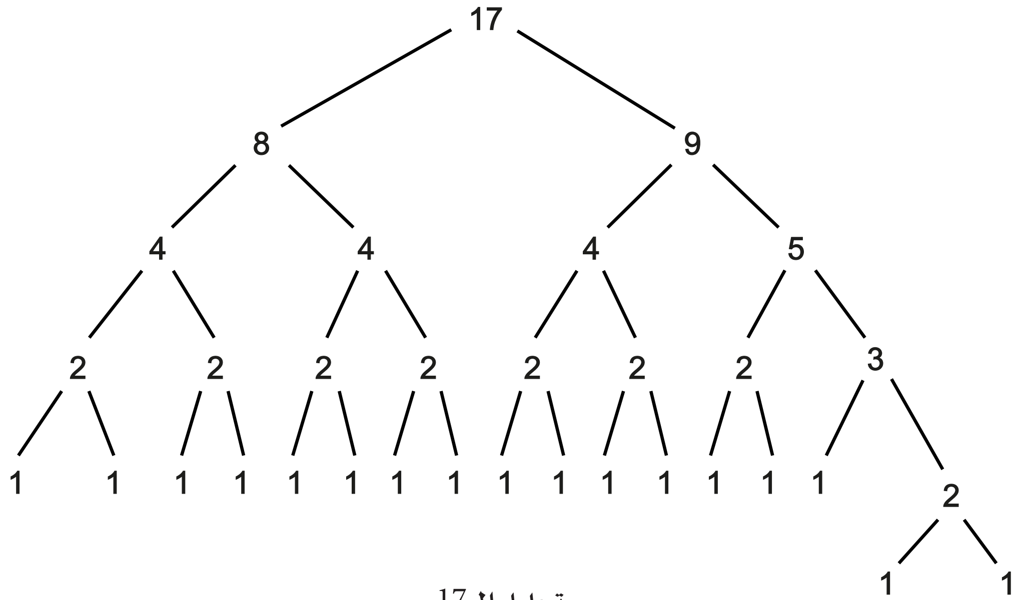
لندرس 17 كما درسنا 5:

نقسم الرقم المدروس 17 إلى أقرب قسمين له بلا كسر أي إلى 8 و 9 نقسم الرقمين الحاصلين بنفس الطريقة السابقة فيكون:

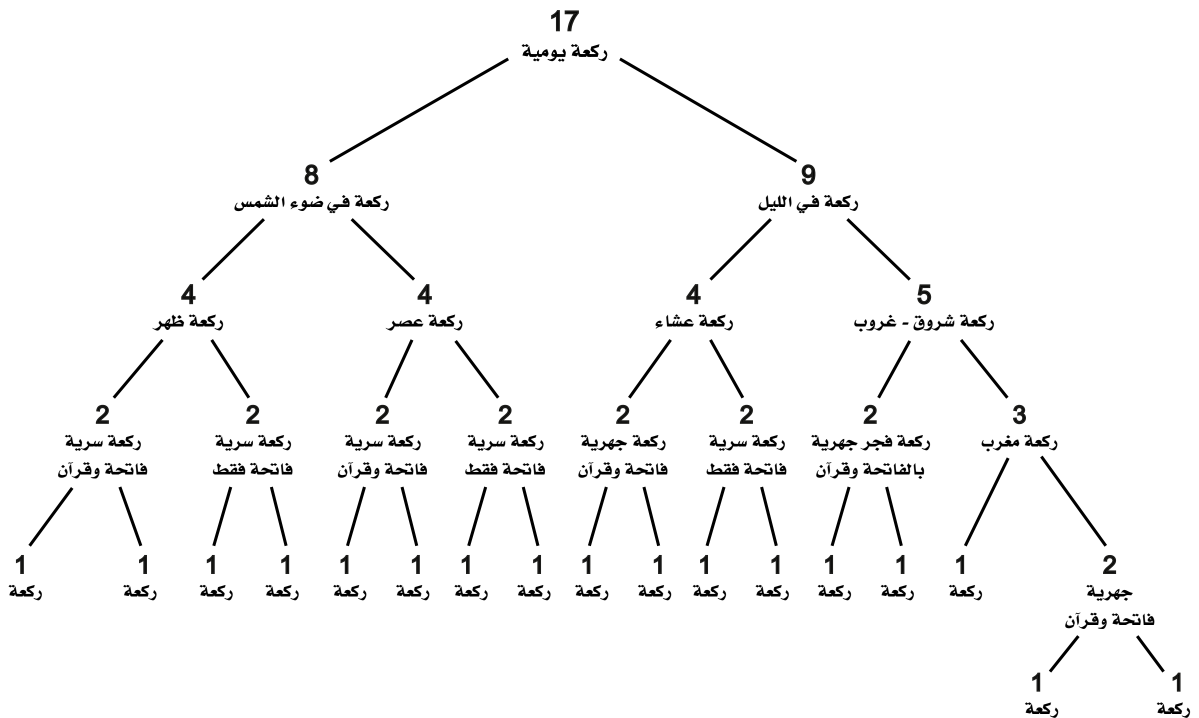
8 هو 4 و 4

9 هو 4 و5

وهكذا نتابع العملية على الأرقام الحاصلة إلى أن نصل إلى الواحد كما في الشكل (تحليل 17)



تحليل الـ 17



خطوات تحضير رسم الوفق 5 خطوات

تحليل الـ 5 الشكل (5A1) مجموع الأرقام 17

وكما في الشكل (5A2) نتابع

في الـ 5 صلوات يومية 17 ركعة...

....

....

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿... ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النمل:27/ 15].

﴿...رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: 27/ 19].

﴿... هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾ [النمل: 27/ 40].

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾ [الكهف: 18/ 57].

التعريفات

العدد بي
π

هو ثابت رياضي يستخدم في الرياضيات والفيزياء بشكل مكثف، يعرف هذا العدد أيضاً باسم ثابت أرخميدس، ويساوي تقريباً 3.14159

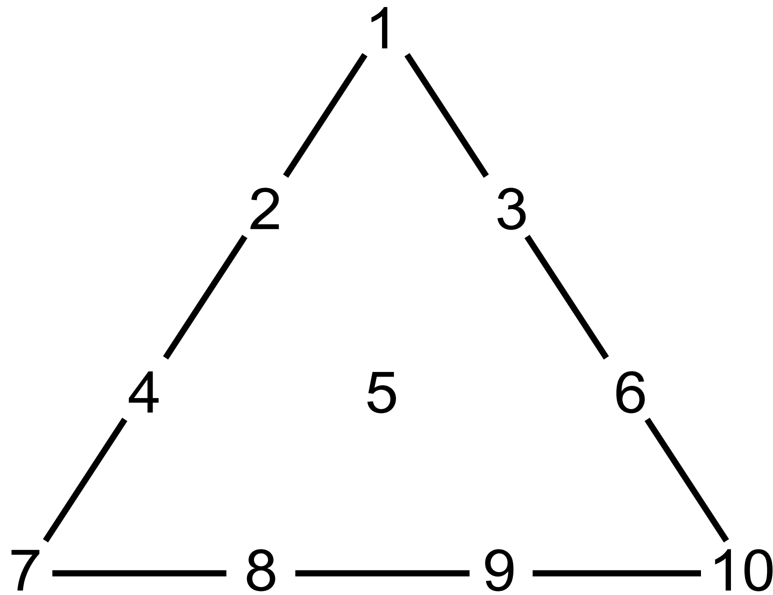
عندما يكون قطر دائرة مساوياً لـ 1، يكون محيطها مساويا لـ π ، وهو موجود بكثرة في حساب المثلثات والهندسة الرياضية.

العدد «بي» عدد مبهم حتى الآن. فلا أحد يعلم ما هي كل الأعداد بعد الفاصلة فهي لا تنتهي ولا يستطيع أحد أن يتكهن إلى أين تصل ومثالها التالي:

،..

π = 3,1415926535 8979323846 2643383279 5028841971
6939937510 5820974944 5923078164 0628620899 8628034825
3421170679 8214808651 3282306647 0938446095 5058223172
5359408128 4811174502 8410270193 8521105559 6446229489
5493038196 4428810975 6659334461 2847564823 3786783165
2712019091 4564856692 3460348610 4543266482 1339360726
0249141273 7245870066 0631558817 4881520920 9628292540
9171536436 7892590360 0113305305 4882046652 1384146951
9415116094 3305727036 5759591953 0921861173 8193261179
3105118548 ....

التتراكتيس (Tetraktys)
أو مثلث العارفين



هو شكل مثلثي يتألف من عشرة نقاط موزعة على أربعة أسطر كما في الشكل أعلاه:

في السطر الأول نقطة، الثاني نقطتان، الثالث ثلاثة نقاط، الرابع أربعة نقاط، وهذه الأسطر الأربعة تؤدي إلى العشرة.

هذا الشكل يحتوي على رمزية المثلث، كما يحتوي على العدد 10 و معانيه في الكمال و الوحدانية.

يعتبر التتراكتيس من الرموز السرية الغامضة في الهندسة المقدسة و كان يعتبر السر الأكبر لجماعة الفيثاغورثيين لاحتوائه على طبقات عالية من المعرفة، لدرجة أن البوح بالسر كان يودي بحياة صاحبه.

التاروت (Tarot)

نشأ التاروت في أوروبا في القرن 15 وهو عبارة عن مجموعة من الأوراق عددها 78 ورقة منها 56 ورقة تسمى الأركان الصغرى و 22 ورقة تسمى الأركان الكبرى

أوراق التاروت تستخدم وعلى نطاق واسع في مُعظم أوروبا، و تُوظف بشكل رئيسي لأغراض العرافة.

وكمثال عليها الأوراق: 1 – 7 – 13 – 19



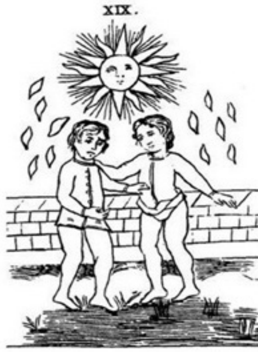
1



7



13



19

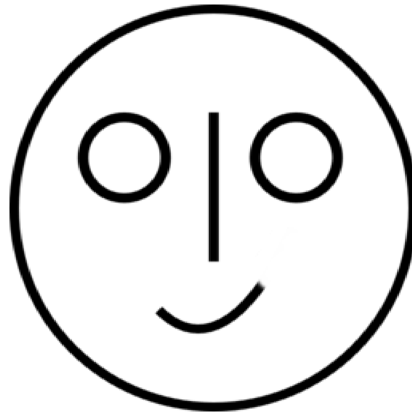
نظرية الجشتالت Gesthalt

يعود الفضل في تأسيس نظرية الجشتالت للألماني ماكس فرتهيمر فكرتها الأساسية أننا لا ندرك الأجزاء التي يتكون منها الشيء لوحدها وإنما ندرك الشكل العام.

فكلّ عنصر في أي شكل لا معنى له بشكل منفرد و يأخذُ معنىً عندما يوضع مع الكلّ، و بنفس الوقت يساهم الكل بإعطاء معنىً لهذا العنصر مثال ذلك:

لدينا مجموعة عناصر هي:

دائرة كبيرة ، و دائرتين أصغر، و خطيّن، إن وجدا بشكل منفرد فكل عنصر له معنى منفصل عن الآخر لا صلة بينهما، أما إن رتبت العناصر السابقة ليكون منها رسماً مبسّطاً لوجه فهذه العناصر مجتمعة تعطي معناً لشكل الوجه كما في الرسم التالي:



حساب الجمّل أو الترتيب الأبجدي

هو طريقة لتسجيل الحروف الأبجدية على شكل أرقام، إذ يعطى كل حرف رقماً معيناً يدل عليه تبدأ برقم 1 لحرف الألف وتنتهي عند الرقم 1000 لحرف الغين و بترتيب الحروف العربية حسب (أبجد هوز) كما في الجدول التالي:

9	ط	8	ح	7	ز	6	و	5	ه	4	د	3	ج	2	ب	1	ا
90	ص	80	ف	70	ع	60	س	50	ن	40	م	30	ل	20	ك	10	ي
900	ظ	800	ض	700	ذ	600	خ	500	ث	400	ت	300	ش	200	ر	100	ق
																1000	غ

وهو حساب استخدم في اللغات السامية و في بلاد الهند قديما، وعند اليهود؛ و في الأبجدية الآرامية.

بعد انتشار الإسلام و نزول القرآن الكريم و توسع رقعة الخلافة الإسلامية و قيام دولتها الكبرى دعت الحاجة إلى الحساب و نشأ حساب الجُمَل و استمر زمناً طويلاً، يستعمله العرب في علومهم و تجارتهم و جداولهم الفلكية، و حساب أوزانهم، وكذلك في التأريخ للمعارك، و الوفيات و الأبنية و غيرها. فعلى سبيل المثال نرى في كتاب «القانون» لأبي الريحان البيروني الذي عاش بين القرنين الرابع والخامس الهجري كثرة استخدامه لطريقة حساب الجُمَل.

ملاحظة: (حساب الجمل هو المعتمد هنا في كتابنا).

النسبة الذهبية

Φφ

أو الرقم الذهبي أو النسبة الإلهيـة أو الرقم Φ السـر الدائم لعلم الجمال ومقياس الإبداع كلها مسميات بدأت في الظهور بعد أن عمل ليوناردو فيبوناتشي المتتالية الشهيرة والمسماة باسمه.

و أرقام متتالية فيبوناتشي علي النسق التالي:

1، 1، 2، 3، 5، 8، 13، 21، 34، 55، 89، 144،...بحيث أنَّ كل رقم هو نتاج مجموع الرقمين السابقين له، و يقترب ناتج قسمة كل رقم بما قبله من 1.618 شيئاً فشيئاً.

العدد الأولي

هو عبارة عن عدد طبيعي أكبر من العدد 1 يقبل القسمة على نفسه وعلى العدد واحد فقط.

العدد المؤلف: هو العدد الطبيعي الذي يكون أكبر من 1 وليس أوليا.

مثلاً:

5 هو عدد أولي لأنه لا يقبل القسمة إلا على العدد1 وعلى 5.

6 هو عدد مؤلف لأنه قابل للقسمة على 1، و أيضا على 2 وعلى 3 وعلى 6.

كما أن الأعداد الأولية تشكل مع بعضها مجموعة تسمى مجموعة الأعداد الأولية (1 ، 2 ، 3 ، 5 ، 7 ، 11، ....)

محتويات عدد

هي مجموعة الأعداد من العدد 1 وحتى ذلك العدد.

مثلاً:

محتويات 5 هي: 1+2+3+4+5=15

* **ملاحظة:** في كتابنا هنا قد نكتب حرف م اختصاراً لكلمة محتويات.

مقدمة الناشر

تميَّز هذا الكتاب بنمط خاص لم نعهده من قبل؟

فقد بين الكاتب بشكل هندسي ورقمي أهمية الصلاة كركن من أركان الإسلام؛ وكيف بنيت بشكل منضبط، وأن كل حركة وكل تفصيلة فيها، لها أسسها وضوابطها التي تسير مع نظام كوني أوجده خالق السموات والأرض سبحانه.

المسلمون عموماً يقيمون الصلاة لأنها عبادة وقربة إلى الله سبحانه، مسلِّمين بالأمر لأنها مفروضة.

فما أجمل أن يزيد الإيمان بالتعرف على هذه العبادة أكثر، وليجد القارئ في هذا الكتاب الإجابة عن الأسئلة التي قد تراود المؤمن من حكمته سبحانه في كيفية الصلاة ورمزيتها، وهو رسالة لكل من يبحث عن طريق حقيقي يوصله إلى الله سبحانه.

المؤلف
سليمان سامي الجوخدار

من مواليد دمشق 1956 سليل عائلة عريقة بالعلم و المعرفة، كان منها:

والد جده الشيخ محمد الجوخدار من أواخر مُحدثي بلاد الشام، روى عن البخاري بالسند وكان قاضي بلاد الشام.

جده الشيخ سليمان الجوخدار كان نابغة زمانه، عُين قاضياً على الحرمين الشريفين وبلاد الشام، كما أسس معهد الحقوق في جامعة دمشق و كان وزيراً للعدل.

والده الدكتور إحسان الله الجوخدار نال مرتبة الدكتوراه الدولية في القانون من جامعة السوربون في فرنسا.

من خلال أسرته كان متمكناً من علوم إسلامية عليا مثل علم الحرف وعلم الرقم، له أبحاث في مجال الدراسات الإسلامية وعلومها، قدم فيها نظرة مستقبلية و للمدى البعيد للإسلام و القرآن.

المؤلف باحث في مجال العمارة التاريخية و التي درسها في جامعة السوربون إضافة إلى دراسته الفنون التشكيلية في الجامعة نفسها.

أقام عدة معارض لأعماله الفنية عرض فيها لوحاته الهادفة والتي حمَّلها فكره الهادف وبُعد نظره المستقبلي.

له أبحاث مطورة في مجال التصميم و الابتكار في الفن و العمارة المقدسة.

كتب باللغة الفرنسية و الإنكليزية و له مؤلفات باللغة العربية.